الكويت

في ميزان الحقيقة والتاريخ

تأليف: يعقوب عبدالعزيز الرشيد

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية

مهداة من :
جامعة الكويت

١٩

الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية

الكويت

في ميزان الحقيقة والتاريخ

تأليف

يعقوب عبد العزيز الرشيد

١٩٦٣

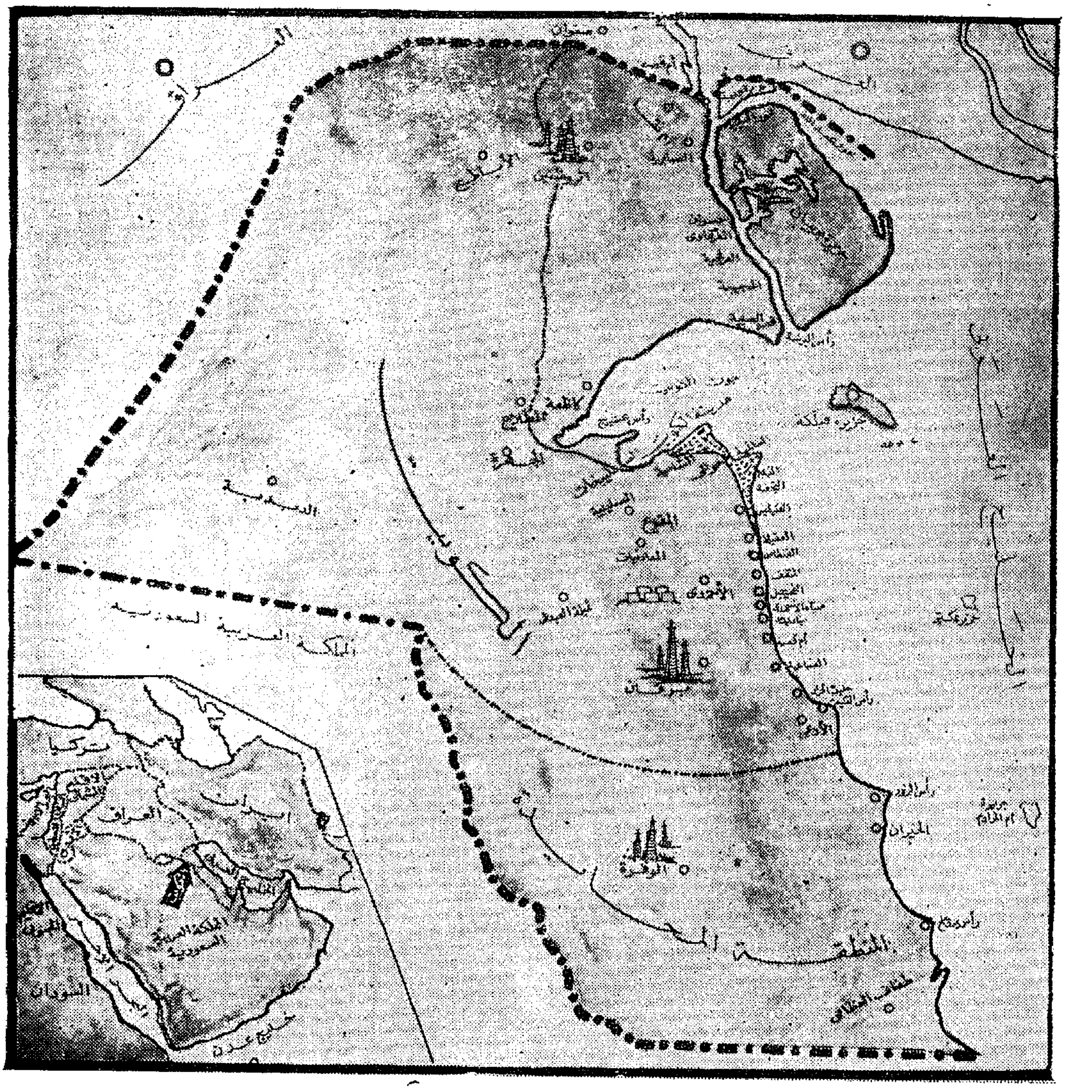

خريطة الكويت

مقدّمة

فكرة هذا الكتاب ، ولدت كما يولد الفجر ، تحسه ولا تراه .. وربما تخيلته قبل ان يحل .. او يطل محياه .. وقد يخامرك شعور شاك في وجوده غير ان الانتظار لا يطول بك حتى ترى انواره تملأ الكون وتحس اضواءه تغسل الدنيا .. وتلفها ..

ولدت فكرة هذا الكتاب ، مثل شرارة صغيرة ولكنها ذات وهج وحرارة ، وكان ذلك يوم ان لوح اللواء عبد الكريم قاسم ثم صرح .. انه سيعيد عقارب الساعة الى الوراء .. ويدفع عجلة الزمن الى خلف .. وما لبثت تلك الشرارة ان اسعرت في الصدر لهباً ، واشعلت فيه ناراً ، يوم ان انتقل اللواء قاسم من مرحلة دفع التاريخ الى الوراء ، الى مرحلة اخرى اشد خطورة هي مرحلة تزوير التاريخ وتلبيس الحقائق وتدليس البديهيات.

فاندفعت حينذاك بالاحساس الفطري الذي يحسه كل مواطن يهدد وطنه ، ويساء الى بلده وارض آبائه واجداده .. اندفعت نحو تنفيذ فكرة الكتاب ونشرها على العالم العربي ، بعد ان ملأ قاسم الدنيا بكلام كثير

يعوزه المنطق وتنقصه وثائق الحق ووضوح الحجة ، وبعد ان تكشفت للعالم العربي خبايا نفسه .. ومضامين فكره .. اندفعت حينذاك نحو تأليف هذا الكتاب مستهدفاً ثلاث غايات :

الاولى : كشف الحقائق المؤدية الى كشف باطل مزاعم الزعيم وإدانته من لسانه ولسان أسلافه ووثائق دولته ..

الثانية : كشف الاغراض الحقيقية التي يريدها « الزعيم » من وراء إثارة هذه القضية الخاسرة في تجارتها البائرة ..

أما الثالثة : فهو التدليل على أن للكويت شخصية دولية حقيقية قائمة لا يرقى اليها شك ..

لست في مجال الحديث عن الآثار الكبرى التي خلفتها حماقة الزعيم ومطالبته بضم الكويت بل انتهابها واخضاعها لسلطته الغاشمة .. لأنه ما من شك ولا جدل في أن هذه الفرية الحمقاء لم تبق مواطناً من الكويت إلا أحالته مارداً من الجن أو شعلة أسطورية من الحماس والتضحية يترقب اللحظة الحاسمة وساعة الصفر التي تتيح له افتداء وطنه الحبيب (الكويت) بدمه وماله ونفسه ..

ولن أفعل في هذا الكتاب الا شيئاً واحداً فقط هو أن أسلط بعض الأضواء على قضية بلادي ، عارضاً أطوارها ومراحلها ، مبرزاً تاريخ وطني ومفصلاً غاياته وأهدافه .. لكي أمزق قناعاً زائفاً عن وجه هذا الزعيم ليظهر على الملأ بحقيقته الجائرة الظالمة ونفسيته المخادعة الخاتلة .

نحن والكويت :

الكويت وطني ، ووطن الاحرار الشرفاء ، وكل حفنــة من رماله وكل شبر من شطآنه مرويٌ بأنهار من الدماء والدموع . وهو بحدوده المعترف بها كيان ضروري لاستمرار حيــاة كل كويتي .. فهو لا يراه ويحبه ويفتديه فحسب ، بل يعيشه أيضاً . ولئن كان من السهل على خيال الزعيم أن يتوهم الكويت شريحة من (أملاكه) أو قطعة من البلد الذي نكب بسلطانه ، إنه لعسيرٌ تحقيق ذلك التوهم أو إحالته حقيقة واقعة.

وينبغي عليّ أن أعلن هنـــا صراحة أن الكويت اكثر من وطن لنا نحن الكويتيين ، وأثمن من ملعب صبا أو مسرح طفولة أو ملجأ حرية وملاذ آمل .. ان الكويت لنا نحن الكويتيين واقع تاريخ وحياة ومصير ، فليس لحياتنا معنى دونها ، وليس لوجودنا أثر اذا خدش استقلالها أو نيل من شخصيتها أو وضعت في أيديها الاغلال والقيود ..

لقد تذوقت بلادي طعم الحرية والاستقلال . بل انها لم تعرف طعماً آخر غيره طوال حياتها . ومنذ ان كان « للاستقلال » مدلول خاص ومعنى متعارف عليه ، كان للكويت أثره وخطره في توضيح معالم هذه الكلمة واعطائها التفسير الحديث .

ومنذ ان فتحت هذه البلاد عينيها على حكم آل الصباح قبل ثلاثة قرون . منذ صباح الاول حتى عهد صاحب السمو أمير البــلاد المعظم الشيخ عبد الله السالم الصباح ، والكويت لا تعرف أسلوباً في حياتها غير الاستقلال ولا نهجاً غير نهج الشخصية المتميزة ذات الخصائص المتفردة ،

ولم تعرف طريقة في الحكم غير الطريقة المنبثقة عن اسلام سليم وعروبة أصيلة ، ولم تمكن لأحد من الطغاة أو الغزاة أو الطامعين أن يعتلي متن تربتها أو يدنس طهارة رقعتها ، بالرغم من أن هذه المئات الثلاث من السنين السالفة كانت أملأ فترة في وجود الوطن العربي كله بالمتـاعب والمصاعب وأزخرها بالاحداث الجسام ، اذ كانت البـلاد العربية خلال هذه الفترة من الزمن موضع اختبار وبلاء ومحنة ، ترودها البعثات الأجنبية وتطأ ترابها أقدام الجنود الغرباء .

وكانت هذه الفترة التي وجدت فيها الاوضـاع الغريبة على الأرض العربية وامتدت جذورها فتعالت أغصانها واشتدت سواعدهـا ، بحيث أضحى من الصعب العسير على بعض هذه البلاد أن تتخلص نهائيـاً من آثار تلك السنوات الثلاثمائة العجاف .

هكذا كان حال البلاد العربية عموماً .. فكيف كان حال الكويت ؟

لقد تناولت في هذا الكتاب كل ما يتصل بالكويت .. وكل ما من شأنه أن يدل على استقلالها وحريتها وتفردها بشخصيتها ، وذكرت بعض ما يصلح ان يكون حقائق تدمغ البـاطل « القاسمي » وما يصلح ان يكون دلائل علمية وقانونية تثبت « استقلال الكويت » وتبطل دعوى تبعيتهـا لأية جهة من الجهات وتخذل من يدعي أنها (لواء) من ألويته أو ولاية من ولاياته .. وحرصت على ان تكون تلك الحقائق والدلائل موشاة بالمنطق محلاّة بالبيان ، مزينة بقوة الحجة والبرهان وحرصت أيضاً على تخيّر الوقائع شديدة الأثر الواقفة في وجه الأباطيل ، الهادمة للافتراءات من التي يسمونها في العرف الدبلوماسي (حقائق قاطعة) لا يرقى اليها شك ولا ينال منهـا ريب .. ولقد تغاضيت عن بعض الادلة لشيوعها

ومعرفة القاصي والداني بهـا ولأن الاستشهاد به ، ان كان يمنح فكرة الكتاب قوة ، فانه لا يرتقي به كثيراً الى مشارف الجد والكمال المقصود.

لذلك كله ، سيراني القارىء قد ذكرت اللاجئين الحيارى والملاحقين المظلومين الفارّين بأرواحهم ومعتقداتهم السياسية من جور بني عثمان .. ذكرت هؤلاء وفصّلت في أمرهم .. كيف هوت افئدتهم وتعلقت ارواحهم .. وكيف وجدوا مُطمأنهم وسلامهم في ارض الكويت الحرة.

وللقارىء من بعد ان يقدّر خطورة الأمانة التي تحملتها الكويت .. وعظم العمل الذي أقدمت عليه ، ونبل الرسالة التي لم نتهرب من حمل مشعلها ولم نتأخر عن النهوض بالالتزامات الثقيلة التي يستوجبهـا حمل هذا المشعل في دنيا العرب ، يوم ان كانت هذه الدنيـا مسرحاً لجنود العثمانيين وميداناً لخيولهم وموطئـاً لعجلات مدافعهم ، ويوم ان كانت الوهاد والسهول والجبال والنجود والفيافي والصحارى والقرى والمدن ، في تلك الدنيا العربيـة ، تعيش بل ترزح تحت ظل العلم العثماني .. وتنوء تحت حكم بني عثمان .. ويوم ان كانت كل حركة تحررية عربية تقابل بالحديد والنـار ، وتكبت بالسجن والسوط الرهيب .. ويوم ان كانت قوافل الاحرار تُساق حزينة كئيبة كسيرة الى ساحات المحـاكم العرفية لتستمع بصبر عجيب وصمت قاتل لاحكام الاعـدام بالجملة .. ويوم ان كانت الدعوة للاستقلال والافكار التحررية ، خيانة عظمى .. وطريقاً شائكاً نهايته أعواد المشنقة !.

للقارىء ان يقدر عظمـة الكويت والشجاعة العربية الأصيلة التي تسلحت بها في تلك السنوات المظلمة الظالمة ، ففتحت ابوابها عن رضى وطيب خاطر ، واستجابة للحق ونداءات المروءة ، فضمت الى صدرها

واستقبلت فوق أرضها ، الأحرار الذين لم يطيقوا الظلم . آلت الكويت على نفسها ان تقف في وجه (البعبع) الجبار و « الغول » الاسطوري الذي كان يسمى (دولة بني عثمان) !.

وكل مطلع على تاريخ تلك الفترة ، أو ملم بأحوالها ، يعرف ان الكويت فعلت كل ذلك ولم تطأطىء هامة ، ولم تحن جبيناً بل ظلت صامدة صمود الرواسي .. وصانت نفسها بالرغم من كل شيء ، ولم تمكن الدولة العثمانية من ان تمد ظلها فوق ارض الكويت ، وحافظت – وحدها من بين البلدان العربية – على صفاء استقلالها ونقاء شخصيتها وتخلصها من شوائب الاحتلال والنفوذ والتحكم ..

ولعلّي لا أعدو الحقيقة إن انا قررت ان ما بدا من الكويت في تلك الفترة من صلابة أصيلة في رد كل حكم اجنبي ، انما هو احدى المميزات الرئيسية للكويت شعباً ومجتمعاً ودولة .. وان ما كان من اصرارها وصمودها ضد محاولات الغزو والسيطرة وفرض النفوذ انما هو احدى المقومات الرئيسية لشخصية الشعب الكويتي الماجد ..

ان هذا الشعب الصغير – نسبة وعدداً – وصاحب الوقفة الكبرى في وجه الصعاب والسيطرة والاستغلال .. ان هذا الشعب ليس الا (بركاناً) سرعان ما تثيره محاولة السيطرة وتفجر حممه نوايا التملك والنفوذ بالقوة .. وهل تراني بحاجة الى القول ان ما يفعله الزعيم عبد الكريم قاسم اليوم ليس الا تحرشاً بالبركان واستفزازاً لحممه ونيرانه ..

ثم ان الكتاب يخاطب عقل القارىء العربي في كل مكان عربي وفي بغداد نفسها ، وينهج نهج المنطق السليم في العرض والاستدلال ويسلك سبيل الواقعية في استقصاء غايته والوصول الى هدفه .. ولسوف يراني

القاريء ، أتحدث اليه تارة حديث وثائق .. وأكلمه اخرى بلغة الأرقام ، معتمداً الاحصائيات العلمية ومستقصياً حقائق العلم ووقائع التاريخ ..

فلأجل الدفاع عن الكويت ووضعه الدولي ، استشهدت بنصوص جليّة واضحة جاء بها رجالٌ عراقيون ، ليسوا هملاً بين الناس ولكنهم مفكرون معروفون وجغرافيون علماء .. ومؤرخون يعتدّ بقولهم ويعتمد على رأيهم .

ونحن لم نتقصّ المحاضر الكويتية الرسمية لكي نثبت حدود الكويت ووجودها القائم بذاته وشخصيتها الدولية المستقلة ، بل تركنا القول الفصل في هذا لمركز جمرك صفوان العراقي .. أي تركنا دولة قاسم ترد على مزاعم قاسم واستمعنا الى دوائر العراق الرسمية تكذب اكبر مرجع رسمي في العراق !.

لم نكتف بايراد شهادات رجالات العراق الشقيق ومفكريه ومؤرخيه ولم نستعن بالفكر العالمي ، والتاريخ القريب والبعيد وحسب بل عمدنا الى نهج واقعي جديد في الأدب السياسي هو ان نجند ، في الدفاع عن الكويت وقضيته ، دوائر العراق الرسمية ووثائق دولة العراق الرسمية نفسها .

ففي عرف اللواء قاسم مثلاً ، بل في وهمه ، ان الكويت جزء سليب من العراق ..

وفي حقيقة أنظمة دولته : ـ تفرض الضرائب المفروضة على رعايا الدول الأخرى كفرضها على الكويتيين تماماً .

وفي خيال اللواء قاسم يشكل شعب الكويت جزءاً من املاك حكومته . وفي واقع حياة هذا الشعب انه غريب عن دوائر العراق الرسمية التي طالبت في يوم من الايام ان يكون للكويت في العراق ممثلية او قنصلية .

ان القارىء المنصف سوف يرى في الوثائق الواردة في هذا الكتاب حول هذا الخصوص ، دلواً من الماء البارد ينصب فوق رأس انسان ذي لوثة واختلاط وهو في اوج اوهامه ووسوسته عسى برودة الماء ان تعيد له بصدمتها المفاجئة شيئاً من الصواب وطرفاً من العقل ..

ان الوثائق التي تدين قاسم وحكومته وثائق كثيرة وهامة ، وهي ان دلت على شيء فانما تدل على ان في الواقع الراهن الملموس للسياسة العراقية حقائق دامغة تجعل من خطب الزعيم السياسية ، التي يقذف بها بين حين وآخر للاستهلاك المحلي ، كلاماً اجوف لا معنى له ولا هدف وراءه .. وتجعل من الاستمرار في هذه الدعوة المهووسة الى ضم الكويت للعراق ، ضرباً من العبث السياسي ومتاجرة بالانفعالات العاطفية الشعبية .

ولئن لم يكن للكتاب من فائدة إلا كشف الضلالات وابطال المزاعم وتوعية الشعوب العربية والشعب العراقي الشقيق بالذات على حقائق القضية التي ارادوها له ملهاة بل مأساة ، وافهام جماهيره الواعية المتوثبة ذات الماضي العريق في صنع الامجاد واجتراح المعجزات ، افهامها فشل لعبة قاسم الخطرة وبطلان ادعاءاته المكشوفة ، وزيف مبرراته الواهية التي يعتمد عليها في مواقفه السياسية كافة ..

لئن لم يكن للكتاب من فائدة غير هذه ، وغير مخاطبة الضمير الانساني الحر ، لتحكم بنزاهة وتجرد للكويت او عليها وليقدر موقفها الصلب من مطالبة قاسم بضمها اليه وفرض سلطانه على ارضها وابنائها ..

لئن لم يكن للكتاب من فائدة غير هذه .. وتلك .. لكان ذلك حسبي ولكفاني ذلك مكافأة على الجهد والتعب ..

ان المطالبة بضم الكويت الى العراق ليست مطلباً من مطالب الشعب العربي في العراق ، بل هي (حلم قاسمي) وستار يغطي به قاسم فشله في القضايا العربية الكبرى وفي القضايا العراقية الداخلية نفسها .. فهو في عزلتين .. عزلة عن شعبه .. وعزلة عن شعوب الامة العربية كافــة .. ولقد اخطأ حين قدر ان إثارته لقضية الكويت ، ستهدم له اسوار العزلة وتفتح له ابواب الانطلاق والنجاة من مشاكله وهمومه ..

وانــه لمن معاد القول ان نشير الى ان المواطن العربي في العراق لا يشكو من وجود (كويت) في جوار عراقه ، ولكن ، والحق يقال ، يشكو من قلة ذات اليد لدى الكثرة الكاثرة من ابناء شعبه ، ويعاني من فتك الامراض بقطاع واسع من بنيه ، ويتململ تحت وطأة الجهل الذي يلف بظلامه الدامس المريع نسبة كبيرة من ابناء العراق .. ان المواطن العربي في العراق يشعر بالحرقة في اعماقه وبالغصة في حلقه وبالاسى والألم في قلبه كلما رأى الشعب الفلسطيني مشرداً بائساً والحكومة القاسمية مشغولة بوضع الخطط لابتلاع الكويت لا لإنصاف فلسطين وتأديب اسرائيل ..

ونحن هنا في هذا الكتاب ، نحدد بحزم وايمان ووضوح ان لا مشكلة في رأينا للكويت .. وانمــا المشكلة مشكلة قاسم .. اما نحن الكويتيين فلسنا بحاجة الى شرح نفسية شعبنــا ومنهاج حكومتنا ، فالعالم كله ، والعربي بالذات ، يعلم اننا شعب يقدر معنى الحرية والكرامة الانسانيــة ويسعى بنبل واخلاص لا للتحرر فقط بل لتحرير الشعوب العربية كلها من كل سيطرة غاشمة . ولقد برهنا في مواقف كثيرة وأعلنا هذا المنهاج السياسي تجاه القضايا العربية كافة .. ولسوف تظل هذه وسيلتنا ومنهاجنا كلما ادلهمت الخطوب وانتشر ضباب الشك واليأس ..

انا هنا ، نميّز بين جشع فرد طاغية وبين مطامح شعب نبيل وإني لأرجو جميع القراء ان يضعوا دائماً هذا التمييز امامهم عند طرح مشكلة قاسم على بساط البحث .. فان هـذا الفرد هو عدو لشعبه . عبث بمقدرات الملايين من ابنائه ، واتخذ له منهجاً في السياسة يعزل به العراق ، شاء أم أبى ، عن المجموعة العربية التي ينبغي ان يكون منها في صف القيادة . كما قضى على اقتصاد البلاد فأودى بها الى الحضيض حين كان الشعب ينتظر من ثورة تموز ان تحمله بامكاناته وطاقاته وثرواته الكبرى الى قمة الغنى والازدهار ..

ولا بد أخيراً لهذا الشعب ، ان يعرف طريقه .. وان يتبين من يقف دونه ودون ارادته التي لا تقهر في حياة حرة كريمة :

اذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بد ان يستجيب القدر ! .

المؤلف

مع التاريخ

الكويت .. في اللغة والتاريخ

الكويت تصغير لـ (كوت) وهي الحصن او القلعة تُبنى على مرتفع من الأرض وتشرف على بحر او نهر او مجمع مياه .. ولقد كان هـذا أصل الكويت كما يحدثنا التاريخ ، فقبل ثلاثمائة عـام أمَّ هذه البقعة الجميلة التي يغسل الخليج اقدامها ، زعيم بني خالد الشيخ محمد بن عريعر وكانت خلاءً قفراً .. غير ان الشيخ محمداً هـذا كان مولعاً بالصيد والقنص ، وكان يبحث عن مواطن صيد ومرابع قنص .. وكانت تلك البقعة الرملية المشرفة على البحر عامرة بمـا يصاد ويقنص من الحيوان والطير ، فأعجبته وبنى فيهـا أول بيت (في موقع المستشفى الاميركي الآن) على رابية تشرف على البحر . وكان ذلك البيت صغيراً فسمّاه (كويتاً) لا (كوتاً) ، وجعل منه مخزناً يتزود منه كلما أراد غزواً ، او أزمع صيداً او قنصاً .. وظلت الكويت صحراء لا ينتجعها الا البدو الرحّل حين يتنقلون بين اطراف الصحراء انتجاعـاً للماء والكلأ لهم ولحيواناتهم .. حتى سكنها آل الصباح وعمّروها .. وهكذا قدّر لهذه البقعة الرابضة على البحر ، ان تدخل التاريخ من اكثر ابوابـه تواضعاً لتعود بعد ثلاثة قرون وقد خلقت خلقاً جديـداً فأصبحت بلداً مستقلاً

له شخصيته وله كيانه ، بلدأ يركز الانسان العربي الجديد في رماله أعمدة راسخة لحضارة عربية جديدة .. هي أعمدة الحكمة والعقل ، والازدهار والتمدن ..

آل الصباح في الكويت

كان آل الصباح يقيمون في (الهدار) من مقاطعة (الأفلاج) في نجد . ودب خلاف بينهم وبين بني عمهم من بطن جميلة ، فغلب آل الصباح عليهم وأجلوهم .. فذهب بنو جميلة الى قبيلة (الدواسر) مستغيثين مستنجدين ، فاجتمع شيوخ الدواسر وبطونها وركزوا الرماح في الأرض .. وطلبوا الى بني جميلة ان يختاروا أي رمح يشاءون من هذه الرماح لنجدتهم .. فتخيّروا رمح آل حسن بطن من بطون الدواسر . وزحف الجميليون وآل حسن على الهدار منزل آل الصباح واستطاعوا ان يغلبوهم فجلا آل الصباح عن موطنهم وراحوا يضربون في البوادي حتى استقروا في قطر ردحاً من الزمن في ظل حكامها آنذاك وهم آل مسلم . غير ان رجلاً من آل الصباح قتل رجلاً من اتباع آل مسلم لخلاف بسيط بينهما ، فاضطر آل الصباح الى الهجرة من قطر تنفيذاً لطلب آل مسلم ويمموا وجوههم شطر قيس من بلاد فارس ، ثم المخراق ، ثم الصبية ، حتى ألقوا عصا ترحالهم عند حصن ابن عرير الذي رحب بهم أجمل ترحيب وأكرم وفادتهم فأهداهم الحصن بعد ان استوطنوا هناك . ولقد أحس آل الصباح لأول مرة بالراحة والطمأنينة فآثروا البقاء في هذه البقعة التي وافقت هوى في نفوسهم اذ ضمنت لهم الحرية والاستقرار والطمأنينة .. وكان هذا اول عهد التاريخ بآل الصباح

في دولتهم الجديدة في الكويت ..

شادوا ، أول الأمر ، بيوتاً لهم من الحجـارة والطين ، وقرّوا في هذا المربع دون ان يكون لهم نظام .. او مشيخة او رئاسة .. ولكن أصحابهم وأتباعهم توافدوا على الحصن وبدأ مجتمعهم البسيط هذا يتعقد ويمتدّ ، فرأوا من الحكمة ان يختاروا من بينهم رجلاً يحكمهم ويصرف شؤونهم .. وكان لا بد لهذا الرجل من ان تتوافر فيه صفات الرئاسة المتعارف عليها بين القبائل .. فلم يجدوا أرجح عقلاً ولا اكثر حكمـة ولا أقوى شكيمة من صباح الاول جد هذه الاسرة العريقة التي لا تزال تحكم الكويت حتى الآن ..

ومنذ ذلك الحين لم يتغير حاكمو الكويت ولا طبيعة حكمهم المنبثقة عن الفطرة العربية السليمـة . ولم يستطع الأجنبي ان يتدخل ليكون له رأي أو فصلٌ في تولية حاكم او عزل آخر كالذي يجري في اكثر من بلد آخر ممن ابتلي بالأجنبي ونفوذه ، وبقي الحكم في الكويت تتوارثـه عائلة واحدة رضي عنها شعب الكويت وقبل بحكمهـا ، فهو نوع من الحكم وتصريف الامور ليس مبنيـاً على القوة والاكراه ، او الترغيب والاغراء .. وهو أصلح نوع من الحكم لشعب مثل شعب الكويت ما تزال فيه سائدة اخلاقية القبيلة العربية وفطرة الصحراء السليمة غير الملتوية .

* * *

حكم الكويت صباح الأول حتى توفي سنة ١١٩٠ من الهجرة فتولى حكمها ابنه الشيخ عبد الله الاول بن صباح الاول ، ثم تلاه في سنـة ١٢٧٦ من الهجرة ابنه جابر الذي عرف بجابر العيش لكرمه وإغاثته .

وقد حفظ التاريخ أحداثاً معروفة تشير الى ما كان يتمتع به هذا الحاكم من حنكة ودراية وشجاعة ومروءة .

وبعد وفاته خلفه ابنه صباح الثاني الذي استمر حكمه حتى سنة ١٢٨٣ حين تولى الحكم بعده ابنه عبد الله الذي خلفه اخوه الشيخ محمد بن صباح الثاني سنة ١٣٠٩ هـ واستمر حكمه حتى سنة ١٣١٣ هـ .

وفي هذه السنة استولى على الحكم الشيخ مبارك الصباح بعد ان قتل اخويه جراحاً ومحمداً . وعمل الشيخ مبارك على توسيع رقعة الكويت وجهد في تثبيت مكانتها في الاوساط العالمية ، ولقد حدثت خلال حكمه حوادث كثيرة ، تُستشفُ منها قوة الكويت ومناعتها على اعدائها بفضل تمسك اهلها بحريتهم وتشبثهم باستقلالهم وبفضل وحدتهم وتضامنهم امام اي خطر خارجي يهددهم .

وفي سنة ١٣٣٤ هـ توفي الشيخ مبارك الصباح وتولى الحكم بعده ابنه الشيخ جابر الثاني الذي تعلق به الكويتيون وأحبوه لأنه وسّع تجارتهم وكان يحيطهم بعنايته البالغة ويرعى امورهم بحرص واهتمام . وتوفي الشيخ جابر بن مبارك في سنة ١٣٣٥ هـ فتولى الحكم بعده الشيخ سالم بن مبارك وكان شجاعاً محنكاً حكيماً ساعياً لخير بلاده وصلاح مواطنيه .

وبعد وفاته تولى الحكم بعده ابنه الشيخ احمد بن جابر آل الصباح الذي استمر حكمه حتى سنة ١٩٥٠ م وكانت قد بدأت في اواخر حكمه تباشير اكتشاف النفط وتفجيره في ارض الكويت ، فاغتنم الشيخ احمد ذلك لارساء قواعد النهضة الكويتية الحديثة في هذه البقعة الغنية المباركة .

ولقد جاء حكم صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح متمماً

لتلك النهضة مرسخاً ومثبتاً قواعدها السليمة واسسها المتينة . وان الذي يجيل ببصره اليوم في اطراف الكويت وفي اية ناحية منها ليجد كل شيء شاهداً ودليلاً على الطفرة العظيمة التي نقلت البـلاد الى طور الحياة المتحضرة والرفاهية التي ينعم بها ابناؤها والتي اصبحت مثاراً لحسد الغرباء وشرراً يشعل نار الطامعين ويكشف جشعهم .

* * *

لقد أثبت التاريخ منذ ان وجدت الكويت حتى اليوم ان حكام الكويت لم يكن لهم من هم الا تحقيق العدالة ونشرها بين ابناء الشعب .. وان التاريخ يشهد بأنهم حكموا البلاد حكماً ديمقراطياً سلمياً تدل عليه مآثرهم واحداثهم الحافلة .

واما الحقائق التي اسوقها في كتابي هذا ، فاني ما قصدت من ورائها الا تأكيد الحق واثباته ودحض افتراءات المفترين وتفنيد دعاوى المدّعين من امثال الطاغية المجنون عبـد الكريم قاسم ومن يحيط به من المرتزقة والمنافقين يقدحون شرار هلوسته ونزواته .. فيُنعم عليهم بالكلام السمج السخيف .. يخاله ، من فرط جنونه واستحكام عقده ، خطباً من اروع الخطب ان لم تكن اروعها .. وهو في غيه سادر لا يعلم الى أية هاوية ينحدر .. ولا الى اي مصير يسير .. وسيعـلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون !.

أزمة مفتعلة

نحن ، ابناء الكويت ، جزء من هذه الأمة العربية التي تمتد مـــا بين محيطين ، وتتسع رقعتها فتشمل قارتين ، وحين نكون جزءاً من هذه الامة فان هذا الجزء لا بد من ان ينفعل ويتأثر بما يصيب بقية الاجزاء ، وان اصاب جزءاً من هذه الامة حيف او أذى تداعت له سائر الاجزاء بالسهر والحمى ، كما يقول الرسول الكريم ، ولقد كان هذا حالنا وما يزال ، حين نستعرض الواقع التعيس الممزق الذي تعيشه البلاد العربية ، فينتابنا الاسف المرير والألم الممض للحالة التي وصلت اليها هذه البلاد مما لا يرتضيه الا الاعداء والمغرضون والانتهازيون والوصوليون والذين في قلوبهم مرض .. صراع من اجل سلطة عابرة بين فرد وآخر .. ونزاع على سفاسف من الامور سطحية رجعية لا تقبلها روح العصر ولا يستسيغها منطق العقل. تناحر بين دولة ودولة .. او بين حزب وحزب .. او فئة وفئة .. وبين قبيلة وقبيلة بل حتى بين عائلة وعائلة .. حتى لكأن قد قدر ابداً لهــذه الامة ان يجد لها الانتهازيون من السفاسف والمضحكات ما يشغلون به بال شعوبها البريئة ، جاهدين في ابعاد الامة عن اهدافها الانسانية النبيلة وعما يجدر ان تشغل بالها وتفكيرها به ويملأ فراغ حياتها لتحقيق اوضاع افضل.. وحياة اكرم ..

وهكذا قــدر لهذه الامة ان تقضي شطراً كبيراً من الزمن ضائعة مسحوقة في دوامة الحزازات والمماحكات والازمات الزائفة المفتعلة كالتي حبك خيوطها هذا الحاكم ممقوتاً في بغداد .. الملطخة يداه بدماء الابرياء.. تلاحقه لعنات الشعب العربي في العراق .. وتنغص لياليه ارواح الشهداء التي ازهقها بايدي زبانيته ومرتزقته من جواسيس وشيوعيين وعملاء !

ولم نكن نحن ابناء الكويت لنقف مكتوفي الايدي امام هذا الصراع وتلك الازمات يبتلى بهـا العرب في كل قطر من اقطارهم ، ولم نكن لنستطيع ان نكون كالنعامة نطمر رؤوسنا في الرمال وندعي اننا لا نرى شيئاً وان ليس من حولنا شيء .. وأن الدنيا بخير .. ما دمنا نحن بخير .. كلا .. فان طبيعتنا العربية لن تسمح لنا بان نتخذ موقفاً كهذا .. لان طبيعتنا العربيـــة ليست متحجرة الحس جامدة الادراك .. بل ان نخوتنا لتثور للاسهام في العمل على تحسين هذه الاوضاع بكل ما نملك من جهد وطاقة ..

لقد تضامنا دائماً مع اخواننا العرب في قضايانا العربية الكبرى، وكانت لنا المظاهرات الشعبية الصاخبة ندافع بها عن حقوق اخواننا ونضغط بها على المصالح الانكليزية في بلادنا حين نرى بريطانيا تتجاهل حقوق احدى الدول العربية او تسيء اليها او تعتدي على شعبها . ولم نأل جهــداً في ارسال برقيات التأييد الاحتجاج الى المراجع العليا العالمية كمجلس الامن وهيئة الامم المتحدة مناصرة منا وملاحقة لحقوق كل شعب عربي مهما بعدت رقعة بلاده عنا ومهما اختلف نظام حكمه عن اسلوب الحكم في بلادنا ..

ولقد فتحنا صدورنا وبيوتنا لجميع المعوزين والباحثين عن العمل مـــن اخواننا العرب دون استثناء او تمييز بين بلد وآخر او بين فئة واخرى..

وما كانت كثرة اعدادهم وما قد ينجم عن ذلك من المشكلات ، لتجعلنا نشكو او نتذمر او نظهر اي علامة من علامات الاستياء ، بل اننا استقبلنا الجميع وكأنهم اهلنا واقاربنا واصحاب بيوتنا ، فشجع الكثيرون منهم على انشاء مصالح خاصة بهم .. بكل ثقـــة واطمئنان .. وصارت مصالحهم ومشاريعهم وشركاتهم تزاحم مصالح الاهلين الاصلية .. ولكننا ، بالرغم من كل ذلك ، لم نكن لنسمح لانفسنا ولا لأي وافد من ابناء عمومتنا ، ان يشعر بانه غريب عن الكويت . لقد كنا وما نزال نتمثل بقول الشاعر العربي القويم :

يا ضيفنا لو جئتنا لوجدتنا نحن الضيوف وانت رب المنزل

كانت دماؤنا العربية الصحيحة تثور في كل مناسبة خاصة او اجتماعية فنهب لنجدة البائس او نصرة المضطهد واغاثة المنكوب او للمشاركة في عمل اجتماعي عام .. وما اكثر مـــا يكون ذلك دون دعوة او طلب ، وبعيداً عن اية غاية او مصلحة سوى الاستجابة الى نداء العروبة فينا .. بشعور عفوي اصيل نستمده من تاريخنا المليء بمآثر الأخلاق ، وتُحكم اواصره وتقويها رابطة قومية دينية وثيقة تشدنا الى شعوب البلاد العربية جمعاء ..

* * *

كنا نهمل انفسنا وننساها في سبيل الآخرين ، وكنا ننظر الى ثرواتنا التي منّ علينا الله بها وكأنها هبات عامة لنا ولاخواننا من العرب الذين شاركونا في معاناة صراع التاريخ منذ ان عرف العرب التاريخ .. ولقد بذلوا كما بذلنا وضحوا كما ضحينا في سبيل صد الحكم الاجنبي وفي سبيل

التحرر من كل سلطة غريبة مهما كانت .. او في سبيل الوصول الى حياة حرة كريمة تليق بالانسان .. وينبغي ان يسعى اليها دائماً كل فرد من هذه العائلة الانسانية الكبيرة ..

ولم يكن ليخطر على بالنا ان فوضى السياسة وما يرافقها ويؤدي اليها وينتج عنها من ضياع للقيم وفساد في الاوضاع ، سوف يصيبنا يوماً ما رذاذها .. او تحاول ان تفد الى ربوعنا تنقل سمها واخطارها ..

لم نكن على استعداد .. لطرح مثل هذه القضية على انفسنا ، ولا فكرنا يوماً ان شيئاً من هذا يمكن ان يحدث ..

اجل لم نكن ننتظر شيئاً من هذا .. ولكن هذا الشيء الذي لم نكن ننتظره وقع .. وبالسهولة التي شهدها العالم حين وقف في بغداد رجل ممسوس يحكم بالحديد والنار شعب العراق .. وقف يعلن ان الكويت جزء من (مملكته) وقائمقامية تابعة لولاية البصرة .. في عهد بني عثمان !!

كنا ، ونحن شعب ناشيء يحث خطاه الى وعي الحضارة الحديثة ،نبذل كل سعينا وجهدنا لنستفيد من جميع تجارب الآخرين ونحافظ على وحدة صفنا ، لننتقل من ثم ، وبالتدريج ، الى تحقيق مفهوم الدولة العلمي الصحيح باحثين عن الروح الديمقراطية التي وصل اليها العقل الانساني المعاصر محاولين ايجاد نوع من التوفيق والانسجام بين ما نقتبسه من انظمة الغرب الجديدة ، وبين الخلق العربي الأصيل والتقاليد العربية الصميمة التي لا نزال نفخر بها ونعتز ونباهي أرقى الشعوب بما تنتج من قيم وسلوك ، وبما تحفظه لنا من دعة واستقرار وتضامن اجتماعي واطمئنان نفساني لشدّ الأواصر ما بين الأفراد .

كنا مندفعين بكل ما أوتينا من قوى انسانية وامكانات مادية لكي

نبعد بلادنا العربية جميعـاً عن التخبط الاقتصادي والفوضى السياسية .. وكان ان قبلنا المضطهدين السياسيين بين ظهرانينا ، وفتحنا أبوابنا للمعوزين الباحثين عن العمل ، وضمنّا لهم العمل الشريف المثمر ، فتدفق عشرات الألوف من هؤلاء وأولئك الى بلدنا الصغير بعد ان أمنّا لهم مرافق الحياة اللازمة كما أمناها لأنفسنا ، مثل المدارس والمستشفيات وما الى ذلك من مؤسسات اجتماعية اخرى . ولم نفرق بين ابن البلد وبين غيره من اخواننا العرب الوافدين ..

هكذا كنا .. وهذا ما فعلناه .. حتى وقعت الواقعة .

وكانت صدمة .. لانها جاءتنا من اقرب الناس الينا ومن اكثر الذين عنينا بامرهم .. جاءتنا من الزعيم عبد الكريم قاسم .. حاكم العراق .. وبيننا من الاخوان العراقيين عشرات الالوف .. والوف اخرى في العراق تعتمد مواردهم الاقتصادية علينا .. وعلى اقتصاد الكويت نفسه .. سواء اولئك الذين يعملون هنـا .. أولئك الذين يصرفون بضاعتهم وتجارتهم في اسواقنا ..

وشعرنا .. اننا في صميم المعركة القومية . وفي صميم معترك احـداث الفوضى والتخبط والهلوسة في العالم العربي .. قاسم يطالب بضم الكويت الى العراق ، ويدعي انها جزء منه ، وقائمقامية تتبع ولاية البصرة في عهد الظلمات والاستبداد .. عهد بني عثمان !!

ان عبدالكريم قاسم ، في هذا العصر ، حيث استطاعت الشعوب ان تشهد العالم على احترام حقوقها وسيادتها ، وعلى ان منطق الضم والاغتصاب قد مضى عهده وولى زمانه . ان عبد الكريم قاسم يريد ان يتبع الاسلوب البائر ، أسلوب هتلر وغير هتلر من مجانين التاريخ .

ان قاسم يطالب بضم الكويت الى العراق مدعياً انها جزء منه ، وقائمقامية تتبع ولاية البصرة .. انه يطالب بالكويت كما يطالب اي اقطاعي بقطعة ارض يمتلكها جاره.. وهو يريد هذه القطعة عنوة واغتصاباً وانف الحقوق والشرائع راغم ، وهو يفعل كل ذلك ، ويصرح ، ويخطب ، ويرعد ويزبد ، ويهدد ويوعد ، دون ان يحسب أي حساب للشعب الذي يسكن الكويت ، للذين ولدوا ونشأوا وترعرعوا فوق رمالها ، وبنوا هناك أمانيهم ومستقبلهم ومستقبل أبنائهم وأحفادهم .

نعم ، لا وزن لكل هؤلاء ، في ميزان قاسم ، وهو يحسب انه يستطيع ان يفعل في الكويت ما فعل في العراق ، ولكنه نسي ان الشعب العربي في العراق أخذ على حين غرة ، وكان ثملاً بنشوة النصر والتخلص من عهد كان يرزح تحت أعبائه ببطولة ، وصبر . واما اليوم ، فلا شعب الكويت ولا شعب العراق ، بغافل عما يفعل قاسم . ولا يمكن ان يعيد تاريخ العراق الدامي نفسه مرة اخرى ، لا في العراق ، ولا في الكويت .

وهكذا ، وبكل بساطة وسهولة ، وفي الوقت الذي يصارع فيه العالم أجمع ، من اجل تحقيق حرية الانسان ، وتثبيت حقوقه في بلاده ، وترسيخ حقه في تقرير مصيره والاسهام في بناء مجتمعه ووضع العدالة فيه في نصابها ، وفي الوقت الذي نعيش فيه بأعصابنا وعواطفنا وأمانينا مع كل انسان عربي ، في اي جزء من اجزاء الوطن العربي الكبير ، فندعو له معه لترسيخ الحرية وكرامة الانسان في البلاد التي تخلصت من حكم الأجنبي ، ونساند تلك التي لم تتحرر بعد ، لكي تنطلق وتنال ما تصبو اليه من حرية ورخاء وتقدم . وفي الوقت الذي نستجيب فيه لطبيعتنا العربية ونرفع لواء الحرية والكرامة لأجل الآخرين ، نستيقظ في فجر يوم

فاذا بحريتنا ذاتها ، تهدد بالضياع ، واذا بنا نبحث عمن يضمن لنا بقاءنا أحراراً في مجتمعنا وفي مصيرنا ، وفي بيوتنا وبين عوائلنا واطفالنا .

الحرية .. وماذا تُرى ، تعني لقاسم هذه الحرية ؟

أي مفهوم جديد يريد ان يسبغه عليها وهو الذي وصل الى الحكم عن طريق ثورة شعبية قامت لأجل الحرية ؟

وما هو المعنى الجديد المبتكر الذي يريده للانسان ، هذا الذي فشلت فيه آمال شعب كبير كان ينتظر الكثير الكثير من مثل حكم قاسم ؟

ماذا صنع هـذا الرجل للعراق بالذات ، كي يسوغ له ان يسعى الى ضم شعب جديد الى شعب العراق ، أيريد ان يؤمم أساليبه الاجرامية في الكويت ، بعد ان خبرها في العراق ، وكان حصادها حمامات الدم في الموصل وكركوك ، ومسرحيات التقتيل والسحل والتمثيل بأبشع صورة عرفها التاريخ ؟

لقد صبر شعب العراق كثيراً على الارهاب والاضطهاد في ظل حكامه السابقين ، وعانى كثيراً من كبت الحريات ومحاربة الانسان في رزقه وحريته ، فرأى في حكم قاسم ، قبل ان يبلوه ، منفذاً لآماله وأمانيه ، وجسراً يعبره الى تحقيق حريته وتأكيد وجوده ، ولهـذا صفق كثيراً لقاسم بحماس واندفاع ، ورحب بالحكم الجديد بحرارة وصدق ، ولكنه جرّب بعد ذلك حكم قاسم ، واختبره ودفع كثيراً من دمائه ثمناً لهـذا الاختبار ، فأسف ، وتندّم ، لا لأنه قضى على العهد البائد ، ولكن لأنه سلّم مقاليده الى طاغية مجنون ، استطاع في غفلة من الزمن ان يخدع الشعب ، وان يوهم المخلصين من ابنائه ، انه يسعى الى خير هذا الشعب وصلاح ابنائه ومواطنيه .

ان شعب العراق يريد ان يعيد التجربة من جديد ، بعد ان كبلت حرياته اكثر مما كانت مكبوتة في العهود الماضية ، وانقسم على نفسه كما لم ينقسم شعب في التاريخ .

وماذا ترى تكون حرية القرن العشرين ، عصر الذرة والفضاء ، ونحن نرفع اصواتنا في كل بقعة عربية مطالبين بجلاء الأجنبي عن ارضنا وعن كل ارض تحت الشمس لا يرضى اهلهـــا ان يحكمهم الأغراب ويقرر مصائرهم الوافدون اليهم من وراء البحار ، مهما بلغوا من القسوة والأيد والسلطان ؟

وحين تنادي الشعوب مطالبة بحقوقها في تقرير مصائرها ، ماذا ترى يقول اولئك الذين يسيطرون بالقوة على تلك المصـــائر وهم يسمعون تصريحاته المهووسة ، وخطبه المجنونة عن الكويت ؟

إن قاسم يقدم لأعداء الأمة العربية أدلة ملموسة وحججاً يتشبثون بها في الأوساط العالمية والمجالس الدولية لكي يصروا على بقائهم في الأجزاء العربية الباقية تحت استعمارهم ، وسيكون هوس قاسم ونزواته المريضة دليلاً يستندون إليه ويؤكدون به عجز البلاد العربية عن ان تحكم نفسها بنفسها ، وفشلها في حماية الضعيف منها وإنقاذه من مخالب القوي .

نعم ، ان قاسم يقدم لهم هذه المبررات يسندون بها ادعاءاتهم ، وسيقولون هذه المرة بجرأة وصراحة وخدمة للمستعمرين أجمع والصهاينة وكل المجرمين ، أننا لم نصل بعد الى درجة من الوعي نستطيع بها ان نحكم أنفسنا ، ونقود مجتمعاتنـــا ، ونملك مصائرنا . وسيبقون مستغلين مستعمرين ومجرمين يحتلون بلادنا ويستنزفون دماء شعوبنا وعرقها باسم العطف علينا وتحت ستار الحماية والوصاية .. كل ذلك بسبب أناس تافهين مهووسين

حملتهم الصدف العمياء الى السلطة وقيادة الشعب والتحكم بمصيره فأساؤوا فهم معاني السلطة وضلوا عن سواء السبيل ..

هل تعني الحرية .. حرية القوي ان يفعل ما يشاء ويأخذ مـا يشاء من الضعيف ؟

ان هذا المعنى ، هو من مخلفات عهود الغاب ، ولن يجرؤ أحد في عالم اليوم ان يتبناه او يجيزه مهما بلـغ من القوة والجبروت أو الوحشية والهمجية ، ولولا ذلك ، لمـا رأينا قط دولاً صغيرة تعيش الى جانب دول كبيرة ، عيشة طمأنينة وسلام .

هل تعني الحرية التي يتشدق بها قاسم وأبواقه ، حرية الفيالق العراقية في ان تدخل الكويت لتغتصبها بالقوة والاكراه من جيشها الفتي الصغير ؟

اني أتحدى عبد الكريم قاسم ، وأياً كان ، في العراق أو في غيره ، ان يجرؤ فيبيح للجيوش العربية ان تقتتل فيما بينها في معارك دامية ، ونحن نعلم ان العربي لن يشهر سلاحه في وجه عربي آخر .

بل إني لأتحدى عبد الكريم قاسم نفسه ان يجري في العراق استفتـاءً شعبياً حول حكم قاسم نفسه ، بعـد ان بدأ يهذي بتصاريحه المهووسة المريضة جول الكويت واهل الكويت .

اننا نتحداه ان يجد له عميلاً واحداً في الكويت يرضى بموقفه المجرم المريض هذا ويخضع لسلطانه الغاشم الشاذ .

وهذا كله يعني ان فـه لن يقدر ان يبتلع الكويت لقمة سائغة حتى ولو أراد ذلك . وعليه ان يعلم ، اضافة الى ظروفه الخاصة التي تعاكسه في بلده نفسه ، ان الدخول قسراً الى الكويت لن يكون الا فوق جثث

جميع ابنائهـــا وفوق ركام المنشآت وانقاضها ، وليترك قاسم مثل هـــذه المغامرة للصهاينة المغتصبين في فلسطين .. فلن تكون هذه المغامرة بين قوم عرب تشد بينهم أنساب وتقاليد ومروءات ، هي أقوى الروابط الانسانية منذ أن عرفهم التاريخ حتى الآن .

أتريد ان تعرف شيئاً عن إرادة شعب الكويت ايهـــا (الزعيم) المطالب بالكويت ؟

إذن فاعلم ان إرادة شعب الكويت هي ان يقاوم حتى آخر قطرة من دمائه في سبيل حريته .. ان إرادته هي مثل إرادة شعب العراق الذي يتململ اليوم بالحقد والكراهية والنقمة عليك وعلى حكمك .

وهكذا ترى ايهـــا السيد ان مصير الشعوب لا يقرره إلا الشعوب نفسها ، فهي التي ترضى عن حكامها وتطمئن اليهم حين يكونون عادلين منصفين حافظين لأبناء الشعب حقوقهم وحقوق ابنائهم وأحفادهم من بعدهم .. وهي التي تنفر من حكامها وتكرههم وتطردهم من مراكز السلطة والقيادة حين لا يحسنون القيادة ولا يفهمون السلطة ولا يحققون العدل .

واذا قدر وبقي هؤلاء المتسلطون يحكمون ، كما بقيت انت .. فلن تكون حالهم بأحسن من حالك .. إذ تعيش بين النقمة والحقد وتقضي أيامك في ذعر وخوف .. وتنام كل ليلة في مكان .. يأكلك القلق على مصيرك ومصير حاشيتك .

وأنت وامثالك ، يا سيدي الزعيم ، جاهدون في ابتكار كل خدعة ممكنة لاخفاء القلق ، وتمويـــه الخوف .. ولكنكم لن تزيدوا الطين إلا بلة .. ولا الخرق الا اتساعاً .. وإذا ما دفعك الخوف من فكرة الى

أخرى . ومن ملجأ الى آخر .. فلن تكون إلا كذاك الذي عناه شاعرنا العربي القديم حين قال :

المستجير بعمرو يوم كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وبعد يا سيدي .. فلو لم يكن لك ولأمثالك إلا هذه العيشة الزرية عقاباً على جرائمكم ، لكفاكم ذلك . ولو كانت لك ولأمثالك ضمائر ، لكان يكفي أن تستيقظ هذه الضمائر لحظة .. أو لحظتين ، لكي تبتلعكم الأرض أو تتمنوا لو لم تكونوا .. ولم تكن لكم سلطة وسيادة على ابناء الشعب فترتكبوا هذه الآثام والمخازي .

ليس هذا نبوءة يا سيدي الزعيم ، ولا رجماً بالغيب .. ولكنه يا سيدي ، منطق التاريخ الذي تعود منذ القديم ان لا يرحم الطغاة .، ولا ينافق مع المجانين .. ولا يصفق للتافهين .

- ٢ -

من المضحكات المبكيـــات في دعاوى قاسم واوهامه ، وفي نزواتـــه واختراعاته الغريبة ، انه رجلٌ منّ الله عليه « بنعمة » الجهل ، في جميع ابواب المعرفة ابتداء بالقانون والسياسة وانتهاءً بمبادىء القراءة والكتابة !.
ولكن الله تبارك وتعالى منّ عليه « بنعمة » أعظم من كل النعم و « هبة » أسمى من الهبات ، وهي انه « يجهل انـــه يجهل » ! والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه !.

وأغلب ظني ، ان سيادة الزعيم الأوحد عبد الكريم قاسم ، وقد تعود ان يسهر الليل ، وينام النهار ، كما يفعل المقامرون ، تنتابـــه « احلام النهار » وكلها أضغاث ، فاذا استفاق من نومه التائث في عقله الأوهام والحقائق ، واختلطت عليه احلام النوم وأحلام اليقظة ، وانتقم عقـــله الباطن من عقله الواعي .

وحينئذ يبدأ — حفظه الله — يرسم الخطط ويخوض المعارك ، ويحرر البلدان من اقصاها الى أدناها ، بخطوط على الورق ، وبقع من حبر أحمر على الخرائط ، وكفى الله المؤمنين شر القتال .

وحين يريد قاسم ابتلاع الكويت وانتهابها ، فهو يعتمد حججاً واهية لا تقف امـــام المنطق ، ولا تستقيم في ميزان العقـــل ، وأقوى حججه

وأدمغها في زعمه ، « مملكة » وهمية ، الكويت فيها قضاءٌ تابع لولايـــة البصرة في العهد العثماني .

ولقد ناقض في هذه الحجة الواهية نفسه بنفسه ، وظل يردد هـــذا الادعاء ولكنه لم يجد له حتى الآن نصيراً يقف الى جانبـــه ، او عاقلا يؤمن بصحة دعواه ، ولن تجد خـيراً من التاريخ ، من أحداثـــه ومن أرقامه ، دليلاً دامغاً ، وحجة قوية ، وبرهاناً ساطعاً . ومن هذا التاريخ نفسه ، القديم والبعيد ، أسوق هذه الأدلة والبراهين المستندة الى الحقائق والوقائع ، لكشف زيف هذا الادعاء وبطلانه .

ان هذا التاريخ يؤكد استقلال الكويت وحرية شعبها وشخصية كيانها منذ نشأتها حتى الآن .

لم يتغير في الكويت حكم آل الصباح ، بمـــا ضمنه هذا الحكم من حرية واحترام للكرامة الانسانية ، فغدت الكويت ملجأ للاحرار وملاذاً لكل لاجىء سياسي تضمّن عليه بلاده بالحرية . ولقد استطاعت الكويت اكثر من مرة .. أن تفلّ أرادة الدولة العثمانية وتمنع عنها ما تطلب من الرجـــال الذين يفرون من وجه هـــذه الدولة ويلوذون بالكويت لاجئين محتمين .

ومن التاريخ .. هذه الواقعة .. كتبت استقـــلال الكويت منذ سنة ١٧٨٨ حتى الآن :

فقـــد حدث ان أسندت (متسلمية) البصرة الى السيد مصطفى آغا الذي عزم على التمرد على سلطان الدولة واعلان استقلال البصرة ، فكان ان غضب الوزير سليمان باشا والي بغداد وجهّز جيشاً جراراً سيّره الى البصرة للقضاء على ثورة مصطفى آغـــا .. وفي الطريق من بغداد الى

البصرة اشتبك هذا الجيش بقبائل المنتفل التي كان يقودها الشيخ توبني فهزمها ، وحينئذ أيقن مصطفى آغا ان لا قدرة له على مواجهة جيش سليمان باشا فترك البصرة هارباً .. ولم يجد غير (الكويت) ملجأ يلوذ به ويحتمي من سلطة بني عثمان فاستجار بحاكم الكويت آنذاك وهو الشيخ عبد الله الاول ابن صباح الأول .

وعلم سليمان باشا بالأمر فكتب الى الشيخ عبد الله يطلب اليه ان يسلّمه مصطفى آغا .. ولكن الشيخ عبد الله ، وقد رضع مع الحليب تقاليد العرب وقيمهم الخلقية ونجدتهم وغوثهم ، رد الوزير بكل أنفة وكبرياء قائلاً له :

« أنت تعلم جيداً ، ان العربي لا يخذل من يستجير به » ..

وأصر سليمان باشا .. وألحّ في طلبه .. ولكن هذا الاصرار وذلك الالحاح لم يزيدا الشيخ عبد الله الا إصراراً على حماية من استجار به ، غير عابيء بكل ما كان للدولة العثمانية من قوى وجيوش . وغير آبه لما يحتمل أن يجر هذا الحادث وراءه من انتقام عثماني ..

بقي مصطفى آغا في الكويت متمتعاً بالحماية والضيافة حتى سافر الى نجد ومعه أمواله .. ولكن يد الدولة العثمانية ، لم تستطع طوال بقائه في الكويت ، ان تمسّه بأذى .. بالرغم مما كان تحت تصرف الوزير سليمان باشا من جيوش وقوى .

ترى .. لماذا لم يقدم سليمان باشا على غزو الكويت بجيوشه وتأديب حاكمها والقبض على « المستسلم » المتمرد .. بالقوة ؟

هل تراه قد عفا عنه ؟

ان أرواحاً كثيرة بريئة ، كانت قد ذهبت ضحية تمرد مصطفى آغا ، وعمله بحد ذاته ، يعد جرماً في نظر الدولة ، يستحق القتل عقاباً له .

ترى ، هـل كان سليمان باشا يتردد في دخول الكويت والقبض على المجرم بحق دولته لو كانت حقاً جزءاً من ممتلكات الدولة العثمانية ؟

نحن نريد جواباً على هذا السؤال ، ولعلنا نسمع هـذا الجواب من ابواق قاسم التي تعودت على تزييف الوقائع والحقائق لكي تنسجم مع رغبات قاسم ودعاواه لا لكي توافق التاريخ والحقائق العلمية .

* * *

حدث هذا في سنة ١٢٠٢ من الهجرة ..

ولكني انتقل الآن الى واقعة اخرى ، حدثت في سنة ١٣٢٠ من الهجرة ، في عهد الشيخ مبارك الصباح .

فقد كانت تربط الشيخ مباركاً صلة بعبد العزيز افندي السالم في البصرة ، وكان الشيخ مبارك الصباح قد أرسل الى عبد العزيز السالم يطلب اليه ان يسدّد بدل المشاركة في جريدة (الخلافـة) التي كانت تصدر في كلكتا ولندن ، وكانت الحكومة العثمانية قد حظرت دخول هذه المجلة الى جميع اراضيها ومناطق نفوذها ، وذلك لمناهضة هـذه المجلة لسياسة بني عثمان وتنديدها باستبدادهم وظلمهم ، وكانت هذه المجلة تدخل الكويت برضى الشيخ مبارك وتأييده .

ولكن الوشاة وسعاة السوء ، من أعـداء الشيخ مبارك وعبد العزيز السالم ، أسرعوا في نقل الوشاية الى والي البصرة ، فأرسل هـذا ، في الحال ، من يقتحم بيت عبد العزيز ويفتش في دفاتره وأوراقه ، وكان

بين هذه الدفاتر والاوراق كتاب من مبارك فيه سخط شديد على السلطان عبد الحميد وكلام قاس على سياسته الخرقاء ، ولكن عبد العزيز السالم تمكن بحسن تدبيره ، ان يتلف الكتاب اثنـــاء البحث والتفتيش دون ان يشعر به أحد .

داهموا البيت وفتشوه ، ولم يجدوا حجة ولا مأخذاً على الرجل ، ولكنهم قبضوا عليه وزجوا به في زنزانة ضيقة وعاملوه بقسوة متناهية طوال مدة سجنه التي لم تنته الا في ايام ولاية مخلص باشا .. فهل تدلنا هذه الحادثة على تبعية الكويت للدولة العثمانية ؟. ام انها تؤكد عجز هذه الدولة عن مد يدهـــا الجائرة الى حكام الكويت ؟. وهي ما لجأت الى سجن عبد العزيز السالم الا انتقاماً من شيخ الكويت الذي لا تستطيع ان تصل اليه او ان تخضعه لسلطانها وهو المستقل عنها استقلالا تاماً ..

* * *

ومن التاريخ القريب .. هذا الدليل ..

فلقد صدرت في العراق قبل تموز ١٩٥٨ وبعده وفي حكم قاسم نفسه كتب في الجغرافية والتاريخ تعترف باستقلال الكويت وتضع في خرائطها ومصوراتها حدوداً فاصلة بينها وبين العراق ..

من هـــذه الكتب كتاب جغرافي ألفه الدكتور احمد سوسه وساهمت حكومـــة عبد الكريم في نفقات طبعه وفي توزيعه .. وفي اول صفحة منه صورة متصدرة للزعيم عبد الكريم قاسم ، وفي صفحة اخرى خريطة للعراق كاملة ، مرسومة فيهـــا الحدود واضحة وقد كتبت عليها ، بالنص ووراء الحدود العراقية ، اسماء الدول المجـــاورة (سوريا وتركيا وايران

خريطة العراق

والاردن والسعودية والكويت !.) وفي الخريطة خط احمر قان يفصل بين العراق من جهة البصرة وبين الكويت .

صدر هذا الكتاب في سنة ١٩٦٠ واشترت منه حكومة العراق نسخاً كثيرة ، ولكن قاسم لم يحتج على ما جاء في الكتاب ، لان الوحي لم يكن بعد قد نزل عليه بآية الكويت ! وغفرانك اللهم .

* * *

وهـــذه حادثة اخرى ، يحملها التاريخ في طياته منذ سنة ١٩٢٦ م (١٢٤١ هـ) : فقد كان في الشام تاجر يدعى (ضامر بن حويمد) وكانت له قافلة محملة بالبضائع عائدة الى الشام معه ، وتعرض لها في الطريق رجل يدعى (برهـــان بك) وهو من اعوان والي الشام مصطفى باشا واصفى مقربيه .

ومن طبيعة الاشياء ان يدافع الانسان ، أياً كان ، عن نفسه وماله دفاع المستميت . ومن طبيعة الاشياء كذلك ان تسفر معركة كهذه عـــن قتلى وجرحى ، وكان بين القتلى ، برهان بك وجماعـــة من رجاله ، فخشي ضامر بن حويمد على نفسه من بطش مصطفى باشا وانتقامه ، وهو الذي عاث فساداً ونهب وسلب وطغى ، ووصلت يده في الشام اغتصاباً ونهباً الى كل ما تطاله ، وهكذا توجه ضامر بن حويمد الى الكويت محتمياً من ظلم والي الشام وفراراً من بطشه وانتقامه ، وكانت الكويت البلد الوحيد الذي لم يخضع للدولة العثمانية ولا وصلت اليه يدها

وجرياً على عادات العرب وتقاليدهم ، طلب ضامر حماية شيخ الكويت جابر الاول ابن عبد الله الصباح الذي قال له :

«أنت واهلك في حمانا وفي ضيافتنا ، فكن آمناً هانئاً، وان يصل اليك احـد بسوء ما دمت مقيماً في حمانا ، فسأمنع عنك كل اذى حتى لو احوجت الضرورة الى امتشاق الحسام ، وهؤلاء الكرام جميعهم شهـود ، (واشار بيده الى من كان في مجلسه من اهل الكويت) ولو كان قتلك برهاناً ومن معه دون سبب مشروع ، ولو كنت أنت بدأتهم بالعدوان لما سمحت لك بالبقاء يوماً واحداً في الكويت ، ولأنزلت انا العقاب بك ، ولكني اصدقك ، ولسوف استوثق من صدق ما تقول فلا بد من ان تصل الينا اخبار دمشق وفيها ما حدث بينك وبين برهان » .

فقام ضامر من مجلسه واستلم يد الشيخ جابر وقبلها باخلاص وشكر .

وحين علم مصطفى باشا والي الشام بما انتهى اليه امر ضامر ، كتب الى الشيخ جابر يطلب اليـه تسليمه ، وكان رسله يحملون معهم توصيات وتأييدات من الوزير داود باشا والي بغداد ومن عزيز آغا متسلم البصرة، ولكنهم كانوا يعودون خائبين لأن الشيخ جابراً رجل عربي يحفظ عهده ولا يتخلى عن شهامته وإبائه ولن يخون تقاليد اجداده فيسلم من احتمى به واستجار الى اعـدائه ، ودارت الايام ، وزالت دولة مصطفى باشا ، فغضبت عليه الدولة العثمانية وسيق الى الاستانة وهناك حوكم .

حينئذ سأل الشيخ جابر ضامراً ان كان يرغب في الرجوع الى بلده واهله او يفضل البقاء في الكويت ، فاختار ضامر بن حويمد ان يبقى في الكويت وقال : لن ارحل عن بلد آواني وحماني من عدوي في اشد ايام المحنة ، وسابقى هنا مقضياً بقية العمر ، وفيها ارجو ان اموت وادفن .

هذا ما قاله ضامر بعد ان لم يجد الأمن والطمأنينة والحمـاية الا في الكويت المستقلة التي لم تخضع لدولة بني عثمان .

وفي هذه القصة الرائعة يجلو لنا التاريخ جوهر الخلق العربي الاصيل الذي يتمتع به الكويتيون وامراؤهم نخوةً وشهامة ونجدة ونصرة للحق ، ويبخس حقهم هذه الايام من يبخس ، فلن ينال الا الخسران !.

* * *

ومن فمك ادينك ، يا سيادة الزعيم الاحد ، ومن وثائق دولتك وعهدك اسوق هذا الدليل .

طلب قاسم من « حكومة » الكويت ان توافق على فتح (قنصلية او ممثلية) ترعى في (الكويت) مصالح العراقيين المقيمين فيها ، وطال الامد على هذا الطلب ولم يتلق جواباً من حكومة الكويت فأرسل من العراق وفداً يقضي في الكويت فترة من الزمن يجدد فيها جوازات سفر الجالية العراقية ، وكانت هذه عادة متبعة ، فقد ارسل وفد مثل هذا قبل قيـــام حكم قاسم وكان ذلك في سنة ١٩٥٧ ، وارسل وفـــد آخر بعد قيام حكمه نفسه .

ونزل الوفد ضيفاً على حكومة الكويت التي اكرمت وفادته لانه وفد عربي جاءها من جارة عزيزة هي دولة العراق .

ترى ، كيف تفسر يا سيادة الزعيم الاوحد هذه الواقعة ؟

أيكون تفسيرها ، ان الكويت قضاء تابع (لولاية) البصرة ، أم انها دولة حرة مستقلة استقلالا تاماً ؟!

* * *

وما دامت اغنية ولاية البصرة وقضاء الكويت ، مـــا تزال تهوّم في رأس سيادة الحاكم ممقوتاً في بغداد ، ومـــا دام حاوي بغـــداد الجديد

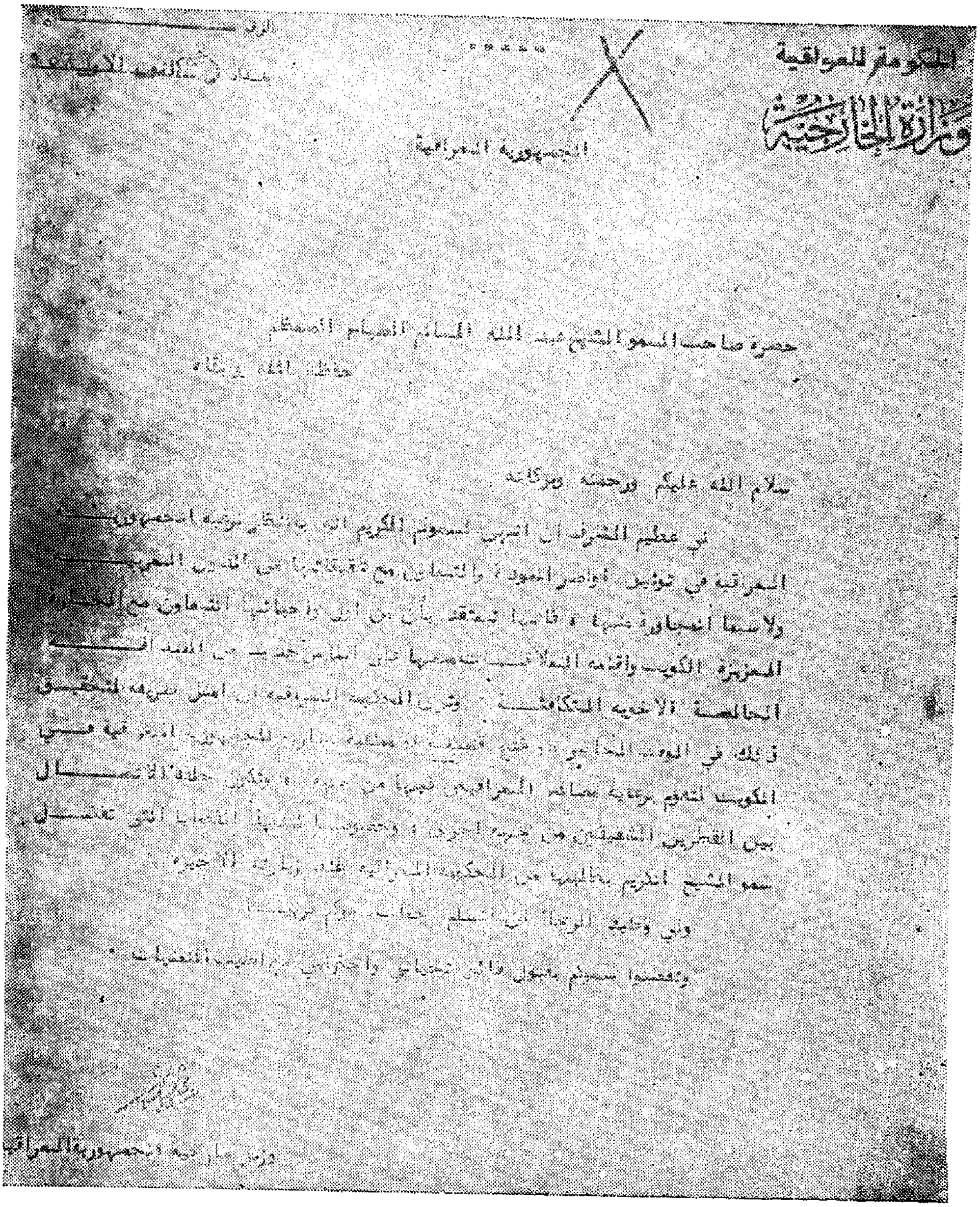
الحكومة المؤقتة
وزارة الخارجية

الرقم

بغداد في [illegible]

الجمهورية العراقية

حضرة صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح المعظم
حفظه الله ورعاه

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

لي عظيم الشرف أن أعرب لسموكم الكريم [illegible] رغبة الجمهورية العراقية في توثيق أواصر المودة والتعاون مع [illegible] ولا سيما المجاورة منها [illegible] التعاون مع [illegible] العزيزة الكويت وإقامة العلاقات [illegible] الخالصة الأخوية المتكافئة [illegible] لتحقيق ذلك في الوقت الحاضر [illegible] فتح قنصلية [illegible] الكويت لتقوم برعاية مصالح العراقيين [illegible] الاتصال بين القطرين الشقيقين [illegible] سمو الشيخ الكريم [illegible]

وفي [illegible]

وتفضلوا [illegible]

وزير خارجية الجمهورية العراقية

طلب فتح قنصلية عراقية في الكويت

لا يجد في جعبته الا هذا (الثعبان) ، فلنستعن بـ (عصا موسى) التي هي هذه الفقرات من كتاب « العرب والترك في العهد الدستوري العثماني» للاستاذ توفيق علي برو ، بعد الاعتذار للمؤلف .

جاء في الصفحة الثامنة والثلاثين من هذا الكتاب :

« أزمة الكويت .

اما ازمة الكويت ، فان انجلترا ، وقد خشيت من سيطرة الالمان على وادي الرافدين والخليج العربي ومن القضاء على نفوذها العريق في هـــذه المنطقة ، وخافت ان يفلت من يديها زمام طريق الهند بسبب مدّ الالمان لسكة حديد بغداد ، بادرت الى عقد معاهدات مع شيوخ الساحل العربي ، وخاصة مع امير الكويت مبارك الصباح الذي كانت معـــاهدتها معه سنة ١٨٩٩ سرية . وقد تعهد فيها بان لا يؤجر او يتنازل باي صورة عن أي جزء من اراضيه لحكومة غير الحكومة البريطانية . واما الذي هدفت اليه هذه الخطوة فهو ان تقف مانعاً دون وصول سكة حديد بغداد حتى الخليج العربي . وفي الحقيقة لما جاء (ستمرس) قنصل المانيا في الاستانة على رأس وفد ، وفي عام ١٩٠٠ الى الكويت وحاول شراء ارض من مينائها واستئجار عشرين ميلا مربعاً من الارض حولها لاقامة محطة للسكة الحديد في رأس كاظمة ، أبى امير الكويت استقباله ورفض طلبه تنفيذاً للاتفاقية المعقودة بينه وبين الانجليز . لكن السلطان عبد الحميد ومن ورائه قوة الدفع الالمانية لم يغفر للامير هـــذا السلوك فأوعز الى والي بغـــداد بارسال قوة عسكرية عثمانية تحملها سفينة حربية الى ميناء الكويت لاحتلال المدينة سنة ١٩٠١ غير ان الحكومة الانجليزية كانت لها بالمرصاد، وسرعان ما ظهر طراد انجليزي ومنع انزال الجنود الترك منها ، كما تدخل الانجليز

ثانية عندما حاول السلطان دعوة امير الكويت الى الاستانة لاحتجـازه فيها ، ومنعوا تنفيذ هذا الامر فما كان من السلطان الا ان حرّض امير حائل على مهاجمة الكويت . ولم تسلم المدينة من السلب والنهب الا بتدخل الانجليز . ولما ظهر لالمانيا وتركيا صعوبة اخضاع امير الكويت لرغبتهما وجعل مدينته منتهى الخط الحديدي حوّرتا المخطط فجعلتا نهاية الخط في رأس هور عبد الله لـكن الشيخ مبارك ادعى ملكيته لجميـع الاراضي الواقعة شمال الكويت الى أبعد من هور عبد الله بعشرين ميلا ، بمـا فيها كاظمة وفيلكة وجزيرة بوبيان . فسارع السلطان الى ارسال طابور من الجند أقام هناك نقطة عسكرية ، فلم يسع الانجليز الا الاحتجاج ، وارسلوا قطعاً من اسطولهم الى الخليج وبدأوا يسلحون الامير مبارك الصباح الذي اخذ يستعد للحرب ، فاضطر السلطان الى الرضوخ في هذه المرة ايضاً واعترف بتبعية كاظمة وفيلكة وبوبيان لأمير الكويت » ا . هـ .

ومع هذا كله ، يصر قاسم على دعوى ان الكويت قضاء تابع للواء البصرة ويتخذ من هذه الدعوى الباطلة حجته الوحيدة التي يتشبث بهـا تشبث الغريق بعود من القش ، وهو يرى ان هذه التبعية يمتد تاريخهـا الى زمن الدولة العثمانية .

اما نحن ، فاننا نري التاريخ يحدثنا عن مفاوضات جرت بين الدولة العثمانية وبريطانيا في مؤتمر لندن سنة ١٩١٢ ، ومثل الدولة العثمانية حقي باشا بينما مثل الدولة البريطانية السر إدوار غراي . وقد انتهت المفاوضات بينهما الى اتفاقية ٢٩ (يوليـه) سنة ١٩١٣ التي اعترفت فيهـا الدولة العثمانية باستقلال الكويت الاداري ووعدت بالكف عن محاولة التدخل في شؤونها ، ووراثة الامارة من بين هذه الشؤون ، وعن كل عمل اداري كالاحتلال او أي عمل عسكري ضمن حـدود الاراضي الكويتية العائدة

للامارة . ولقد تضمنت هذه الاتفاقية ايضاً اعتراف الدولة العثمانية بشرعية المعاهدة الانجليزية الكويتية المعقودة في ٢٣ كانون الثاني (ينـــاير) سنة ١٨٩٩ ، كما تضمنت تخليها عن اي ادعاء او مطالبة بقطر والبحرين .

* * *

الأغنية الوحيدة التي يرددها قاسم ولا يمل ، وتخرجها اذاعة بغداد كل يوم على الناس بشكل او بآخر ، وتتلمظ بها شفاه زبانية قاسم بجوع نهم وشوق حار .

هذه الاغنية ، تهدهد بها اذاعة بغداد بطون الشعب العراقي ، وهو يرى امواله يبعثرها قاسم ذات اليمين وذات الشمال ، يشتري بها تماثيل ، تمثله وهو واقف ، تمثله وهو نائم ! ويبني ساحات تحمل اسمه الكريم ! . او يشتري اسلحة يعطيها للملا مصطفى البارزاني لكي يحارب بها انصار عبد الـــكريم قاسم من الاكراد انفسهم ، ويعطي غيرهـــا لانصاره من الاكراد لكي يحاربوا بها الملا مصطفى .

الشعب جائع .. وعبد الكريم قاسم ، وهو مقامر اصيل ، يصرف اموال الشعب ، كما يبـــذر المقامر ما يربحـــه في القمار دون اي حساب للمستقبل ، بل حتى للعبة القمار التالية .

الشعب في العراق جائع وفقير ، ولكن اذاعة بغداد تعلله بالكويت وبثروة الكويت ، لكي تخفف من نقمته على قاسم وعلى زبانيـــة قاسم وهيهات ! ليس لاذاعة بغداد من اغنية تهدهد بهـــا اعصاب الشعب الا هذه الاغنية اليتيمة ، اغنية « ان الكويت كانت قائمقاميـــة تابعة لولاية البصرة في تقسيمات الدولة العثمانية الاداريه » .

ترى ماذا يقول قاسم الان ، بعد ان كشف له بالدليل الناصع وبالوثائق التاريخية ، ان الدولة العثمانية نفسها اعترفت باستقلال الـكويت واعترفت بالمعاهدة المعقودة بين بريطانيا وبين الكويت كدولة حرة مستقلة ؟

اني اشفق على هذا الرجل ، وهو يرى حججه الواهية تنهار واحدة بعد الاخرى كما تنهار بيوت تبنى على الرمـال دون أسس او عماد ، واشفق على هذا الرجل ، وقد عبثت به اطماعه الشعبية ، ففقـد حاسة التمييز ، وقابلية الادراك ، وانطلق سادراً في غيه ، لا يوقفه شيء،ولن يقف في طريقه ، الا نهايته المحتومة طال الأمد أم قصر .

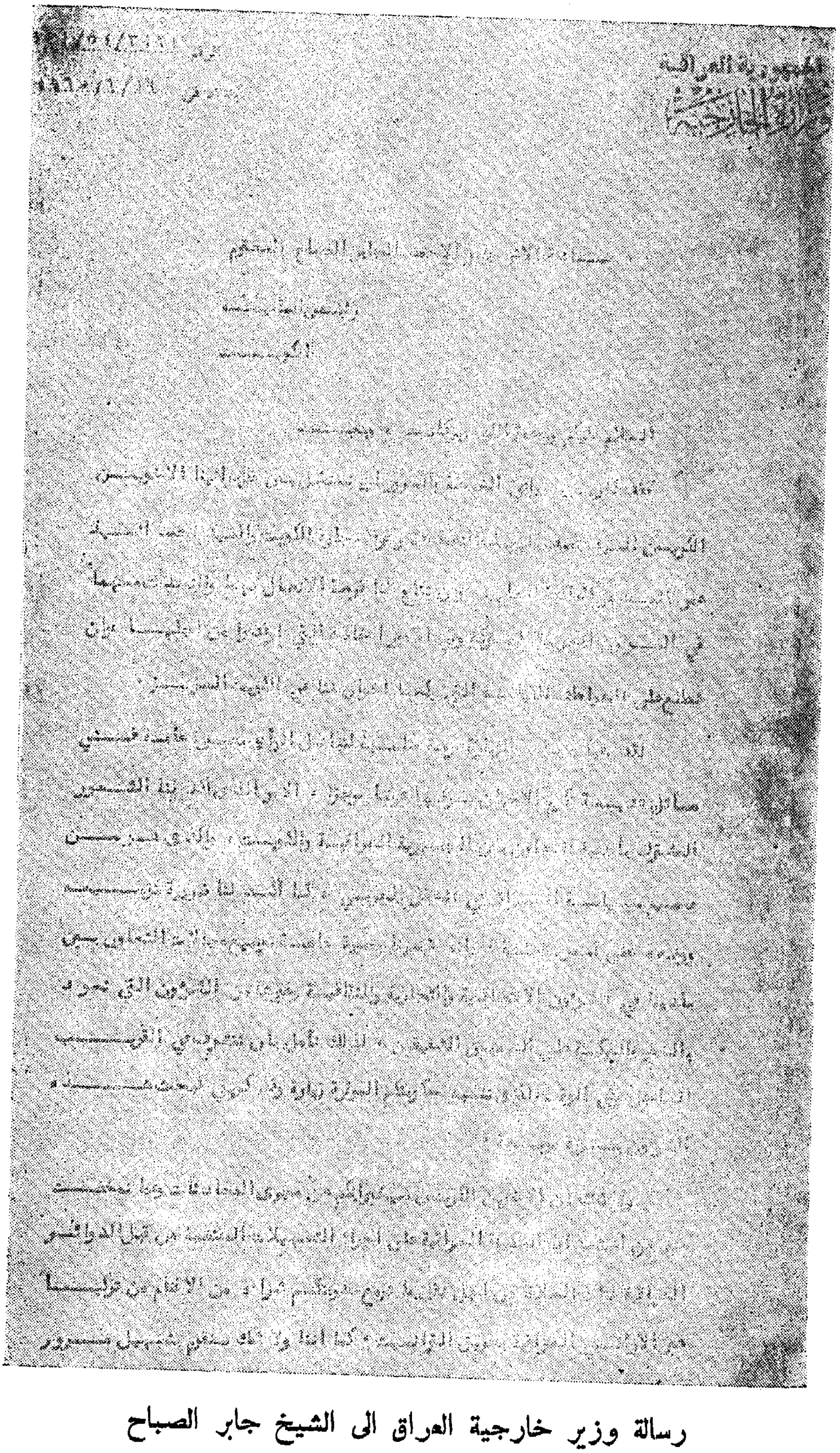

رسالة وزير خارجية العراق الى الشيخ جابر الصباح

الجمهورية العراقية
وزارة الخارجية

الرقم ....
بغداد في ....

المعطلين من الرعايا الكويتيين في طريقهم الى لبنان ، وأخيرا ، فان الحكومة العراقية ستولي امر تبليط الطريق الموصل الى صفوان اهتمامها وذلك ضمن خطتها الاعمارية التي هي موضع التنفيذ .

ولا بد ان اشير بهذه المناسبة الى سرور سيادة الزعيم عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء والقائد العام للقوات المسلحة بزيارة الوفد الكريم وترحيبه بهذه الخطوة المباركة ، وهو يرجو ان تكون هذه فاتحة خير في تنمية العلاقات الاخوية والمصالح المتبادلة بين ابناء البلدين .

وختاما أرجو ان تتقبلوا تهانئي القلبية على حسن اختياركم للاخوين الكويتيين السادة نصف اليوسف النصف واحمد السيد عمر اللذان كانا خير من يحمل رسالة الاخوة العربية الصادقة .

وتقبلوا فائق الاحترام والتقدير راجيا لكم ولكافة الاخوان في الكويت الخير والسعادة والتوفيق .

المخلص

هاشم جواد
وزير الخارجية

المرفقات :
محاضر اجتماعات الوفد

- ٣ -

نحن مع قاسم ، ان كان يثور للكرامة العربية وينقم على اية معاهدة اجنبية جـــائرة ، ان كانت لديه نخوة عربية وزعـة للحرية وتوق الى الكرامة .

نحن معـــه ان صدر عن منطق قومي سليم في ايـــة قضية من قضايا العرب ، واتخذ موقفاً ايجابياً سليماً ، ولكننا خصومه ، وخصوم الباطل حين يصدر عن منطق شعوبي أشعبي ، ويستقي من مستنقع التاريخ ماء كدراً آسناً ، يشرب منه ، ويريد الاخرين ان يشربوا معه .

لو كان لقاسم ، حس عربي سليم ، وشعور قومي اصيل ، لرحب باستقلال الكويت عن بريطانيا نهائياً ، وتملكها لكامل سيادتها واحتفاظها بشخصية كيانها

لو كان لقـــاسم ، هـــذا الحس العربي السليم وذلك الشعور القومي الاصيل لكان اول من اعترف باستقلال الكويت ، وهو الذي كان قد ارسل الى حكومة الكويت قبل ذلك اكثر من كتاب ورسالة ، يخاطبها

الرقم [illegible]

التاريخ ٥ / ١٠ / ١٩٥٨

رئاسة الوزراء

بغداد

سمو الأخ الكريم عبد الله السالم الصباح حفظه الله

أمير الكويت

تحية طيبة وبعد

أشكر لسموكم العواطف الأخوية والمشاعر النبيلة التي عبرت عنها رسالتكم بزيارة الاسرة الكويتية للعراق .

إن العراق حكومة وشعبا ليرحب بمقدمكم في أي وقت [illegible] ثم إن المشاعر التي أشارت إليها رسالتكم الكريمة قد أزيلت بحمد الله وإن كل ما يطلبه إخواننا في الكويت [illegible] اليهم . وما يريد العراق مع شقيقه الكويت إلا تعزيز الأخوة والتعاون وفق النهج الصحيح لخدمة الأمة العربية .

وتفضلوا بقبول تحياتنا الخالصة وتمنياتنا الطيبة .

الزعيم الركن

عبد الكريم قاسم

رئيس الوزراء

فيها مخاطبة الند للند ، ويطلب الى الحكومة الكويتية فيها تبادل الوفود لبحث قضايا البترول والتجارة .

فما عدا مما بدا ، يا سيادة الزعيم الاوحد ؟؟

ولقد صرح عبد الكريم قاسم اكثر من مرة ان المعاهدة البريطانية الكويتية السابقة معاهدة جائرة ، حتى اذا نالت الكويت استقلالها وابطل مفعول تلك المعاهدة ، نسي تصريحاته العلنية ، او تناساها ، فالمعروف عنه انه يحتفظ بنسخ من كل خطبه وتصريحاته ، يقرأها لكل من يدفعه سوء الحظ الى مقابلته في مقره في وزارة الدفاع .

فلماذا تناسى عبد الكريم قاسم تلك التصريحات ، ولماذا اصر على جوره وافتئاته ، بعد ان نالت الكويت استقلالها وحريتها كاملين غير منقوصين ؟

ولماذا لم يمد اليها يده ، وقد اصبحت عضواً في الجامعة العربية ، وانجزت في هذه الفترة القصيرة منذ دخولها الجامعة وخلال عام واحد اشياء تستحق التقدير والاكرام ، مثل انشائها صندوق التنمية العربية الذي يعد خير دليل على حسن نواياها ورغبتها الصادقة في خدمة الامة العربية التي هي جزء منها .

فقد أمدت الاردن بقرض مقداره سبعة ملايين ونصف من الدنانير وأمدت السودان بقرض يساوي قرض الاردن ومنحت لبنان قرضاً بخمسة ملايين دينار كويتي ، وهي على استعداد تام لمد كل مشاريع الدول العربية بقروض عربية كويتية غير مشروطة ، لا غاية لها من وراء ذلك

حضرة صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح المحترم
الكويـــــت

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

وبعد فقد تلقيت رسالتكم الكريمة المؤرخة في ١٦ رجب ١٣٨٠ ببالغ الغبطة والسرور وانا لنقدر لسموكم تكرمكم بابلاغنا ماتقومون به في سبيل تعزيز كيان الكويت الشقيق وتأمين تقدمه ونرجو الله القدير ان يأخذ بأيديكــــم لتحققوا ماتصبون له مخلصين .

ان تأخر جواب سيادة الزعيم عبد الكريم قاسم رئيس الوزراء يرجـــــع الى جسامة مسئولياته ، كما تذكرون سموكم ، ولكم لا شك ، توجيه وتتبعنـــــا حين نقدم فيما نبحثه من قضايا ومشكلات ماالله ، بعض اخواننا العرب ، وسيسعدنا الزمن قريبا بعون الله للتباحث في كل مايهم بلدينا الشقيقين .

ولابد لي ان انتهز هذه المناسبة لاعتذر لسموكم عما طرأ من تأخيـــر في اجابتي على رسالتكم الكريمة بسبب انشغالنا في الاعداد لعقد مؤتمـــر وزراء خارجية الدول العربية الذي بحمد الله العلي القدير على ان وفقنـــا فيه لجمع الاخوة العرب ببغداد ، فكان الاجتماع من اسعد الفرص اذ التأم عقد الدول العربية لاول مرة بعد فرقة ، آملين ان يسير الركب العربي بعد اليوم صفا واحدا ويدا واحدة . وانا بهذا لنؤمن بأن جمع الشمل في جـــو من التفاهم والاخوة وتقدير الظروف هو الاساس الذي يجب ان تبنى عليـــه العلاقات العربية حاضرا ومـــــستقبلا .

اننا ياصاحب السمو لانفتأ نتدارس السبل المؤدية لذلك ، وعلـــــى هذا فيسرني ان اذكر لسموكم ان ماتفضلتم باقتراحه في رسالتكم هو قيـــــد الدرس ، وان ماترجو حكومة الجمهورية العراقية ان تتاح لها الفرصــــــة في القريب العاجل ان شاء الله ان تتدارس مع الكويت الشقيق كـــــل مايهم البلدين ، وما من شأنه ان يقوي تآخيهما ويقرب بينهمـــــا روحـــــا وشكلا .

ويســـرني ان انتهز هذه الفرصة لابلغ سموكم ان العراق حكومـــــة وشعبا يقدر تمام التقدير جهودكم في ســــبيل تحقيق ازدهـــــــــار

الكويت الشقيق ومجده . وفقنا الله تعالى جميعا لما فيه الخير والصلاح .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

هاشم جواد
وزير الخارجية

بغداد في ١٨ رمضان ١٣٨٠
٥ آذار ١٩٦١ .

الا خدمة هذه الامة ، ومساعدتها على رفع مستواها الاقتصـــادي وتنمية مواردها واستثمارها .

* * *

ومرة اخرى ..

من مضحكات قاسم المبكيات ، هذه النكتة المأساوية :

فلقد صرح ، حفظه الله وابقـــاه ذخراً للعرب والمسلمين ، انه اذا استعاد القضاء السليب (الكويت) فسيعمل ، على بنـــاء المستشفيات والمدارس ، فتأمل !

هذا هو عبد الكريم قاسم ، دائماً ، جهلٌ فاضح ، وغباء سياسي ، وستراتيجية عتيقة ، عفى عليها الزمن ، ولم يعد ينتفع بها احد في عصر الذرة واكتشاف الفضاء .

انه يظن ، بل لعله واثق كل الثقـــة ! انه يستطيع بهذا ان يقنع الشعب الكويتي او يخدعه ، ليرحب بسيادته ويستقبله استقبال الفاتحين الكبار .

ولكن اصغر طفل ، في اصغر مدرســـة في الكويت ، يستطيع ان يؤكد لك ان قاسم لا يعرف شيئاً عن الكويت .

فان في هذا البلد الصغير الناشيء اكثر من مائة وخمسين مدرسة على اختلاف مستوياتها ، واكثر من أضعاف حاجته من المستشفيات والمستوصفات ، ونحن واثقون ان سيادة الزعيم الجاهل لا يعرف ان المعالجة في المستشفيات بالمجان ، وكذلك الدواء ، وان التعليم في الكويت وبجميع مستوياته ومراحـــله ـ ابتداء بدور الحضانة ـ وانتهاء بالتخرج في الجامعة ، مجاني ايضاً ،

ومجاني ايضاً كل ما تقدمه المدارس للطـلاب من كتب ودفاتر واقلام وغذاء وملابس واحذية .

ولكن سيادة الزعيم الجاهل الاوحد ، يعدنا انه (سيعمل) على بناء المستشفيات والمدارس ، ان هو غزا الكويت ، وانتهب خيراتها ، واشترى بمواردها تماثيل ، وبنى ساحات تنصب فيها تماثيله !!

ليت شعري ، هل اتخم قاسم العراق بالخدمات الاجتماعية فزادت على حاجته ، فأراد ان تعم اريحيته وجوده شعب الكويت ؟

* * *

نصيحة مخلصة لوجه الله ، نزجيها الى قاسم ، ولا نبتغي من ورائها جزاءً ولا شكوراً ، هي ان يُعنى بنفسه وبشعب بلاده ، ان كان له حقاً مثل هذا الشعور الطيب الفياض نحو شعوب العالم .

ترى ، هل نسي قاسم ان في الأهوار البعيدة عن بغداد ، وفي جنوب العراق بالذات ، اقوام هم في امس الحاجة لا الى المدارس والمستشفيات وحسب ، بل الى الغذاء والكساء .

وفي هذه الاهوار يا سيادة الزعيم الجاهل ، اناس لم يسمعوا باسمك ولم يعرفوا حكمك ، والعارفون منهم ، يقولون لك ، ان الذي يحكمهم هو فيصل الاول ، وان عاصمة العراق هي لواء الناصرية ، وان نهاية الدنيا اميال معدودة وراء الاهوار ! وهم على حق يا سيدي ، ما دامت انوار حكمك الزاهر لم تصل الى (كبائسهم) ، وما دامت قراهم العائمة على مياه الاهوار لم تطأها قدما موظف منذ سنوات كثيرة ، وقبل

ان تشرق على العراق شمسك الباهرة !

هذا جزء من شعبك ، كان اولى بك ان توليه عنايتك ، وتفتح له المدارس وتبني المستشفيات ، وتوصل اليه وسائل الكهرباء وإسالة الماء ، ولو جشمت نفسك عناء السفر الى هــذه الاصقاع المجهولة من بلادك ، لما كلفك ذلك اكثر من ليلة في القطار ، ونهار في زورق بخاري !

لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي !

* * *

ونصيحة اخرى ، نقدمها مجاناً لسيادة حاكم العراق بالحديد والنار .

ليسأل ابناء الشعب ، او ليرسل من يسأل ابناء الشعب ، ان كان لا يستطيع ان يفعل ذلك .

ليسألهم كم هم الذين يرضون ببقائه وبقاء حكمه وطغيانه وجوره ؟

وليسأل نفسه مرة اخرى ، ساعــة يستيقظ ضميره ، ماذا حقق من انجازات كان ينتظرها شعب العراق ، بعد ان تخلص من الحكم الملكي السابق ؟

هل أوصل بلاده الى شاطىء الامان ؟ فأراد ان ينقذ الجيران ويوصلهم مع بلاده الى ذلك الشاطىء ؟.

ان سفينة شعب العراق ، تتلاعب بها الرياح الهوج ، وهي توشك ان تغرق ، بسبب قسوة الرياح ، وهيــاج العواصف ، والافق أربد

وشاطىء النجاة بعيد ، الا اذا قيض الله للعراق من يرفع عنه هذه الغمة ، فينقذ الشعب من جور قاسم ، ويوصل السفينة الى البر ، بعد ان يقطع الطريق على الطغاة والمجرمين ، فلا يصلوا ابداً الى مناصب السيادة والحكم .

اذا كان قاسم قد اراد من اثارة قضية الكويت ، ان يكسب شيئاً من الرصيد الشعبي او ان تكون (الكويت) وقضيتها نوعاً من (الاستهلاك المحلي) يلهي به الشعب عن همومه ومشكلاته ، فانه واهم في ذلك كل الوهم ، جاهل نفسية شعبه كل الجهل .

واذا كان قاسم قد عجز عن ايجاد حلول ناجعة للمشكلات الداخلية الراهنة التي تتناوش حكمه ، فان قضية الكويت لن تكون ابداً سفينة نجاته ، ولا حتى ورقته الاخيرة ، فلقد انتهى هذا الرجل منذ زمان ، وليست محاولاته الاخيرة هذه الا نوعاً من حشرجات الموت ، قبيل النفس الاخير .

وما ظلمناهم ، ولكن كانوا انفسهم يظلمون !.

صدق الله العظيم .

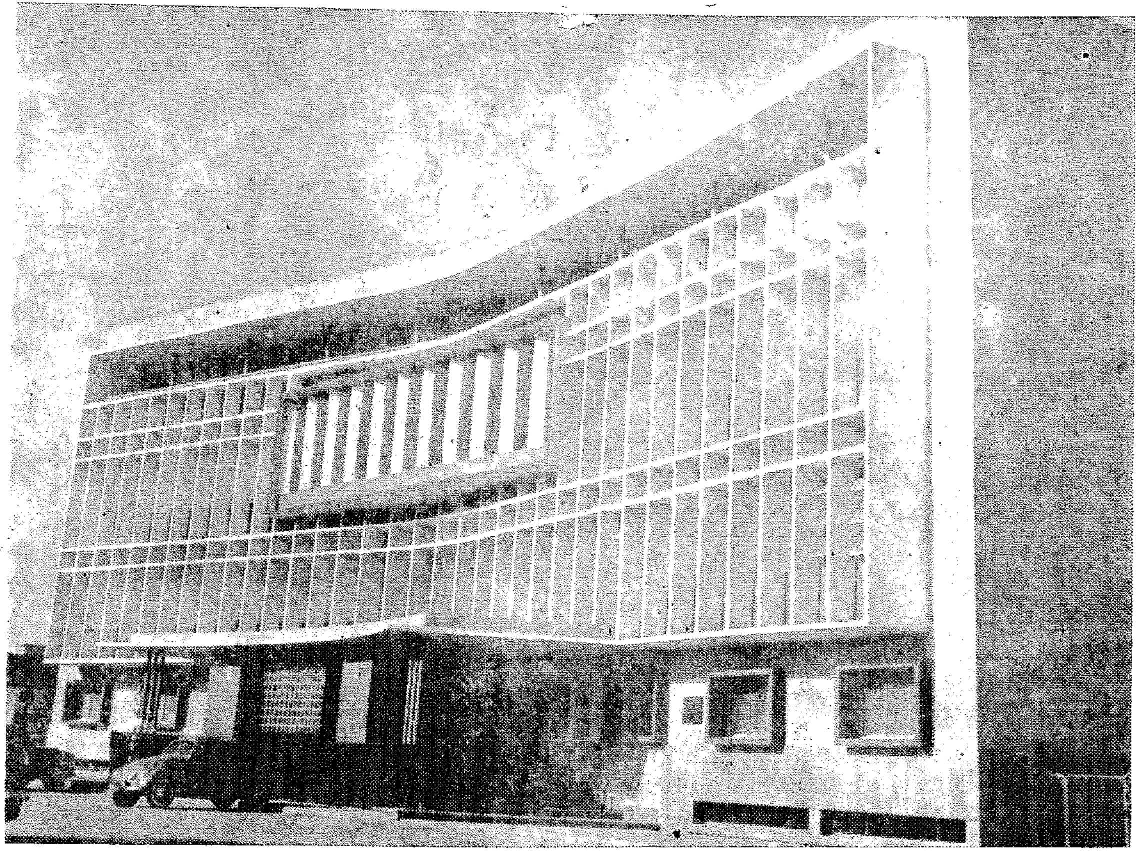

المدرسة المباركيـة

تعليم النطق للصم والبكم في معهد الأمل

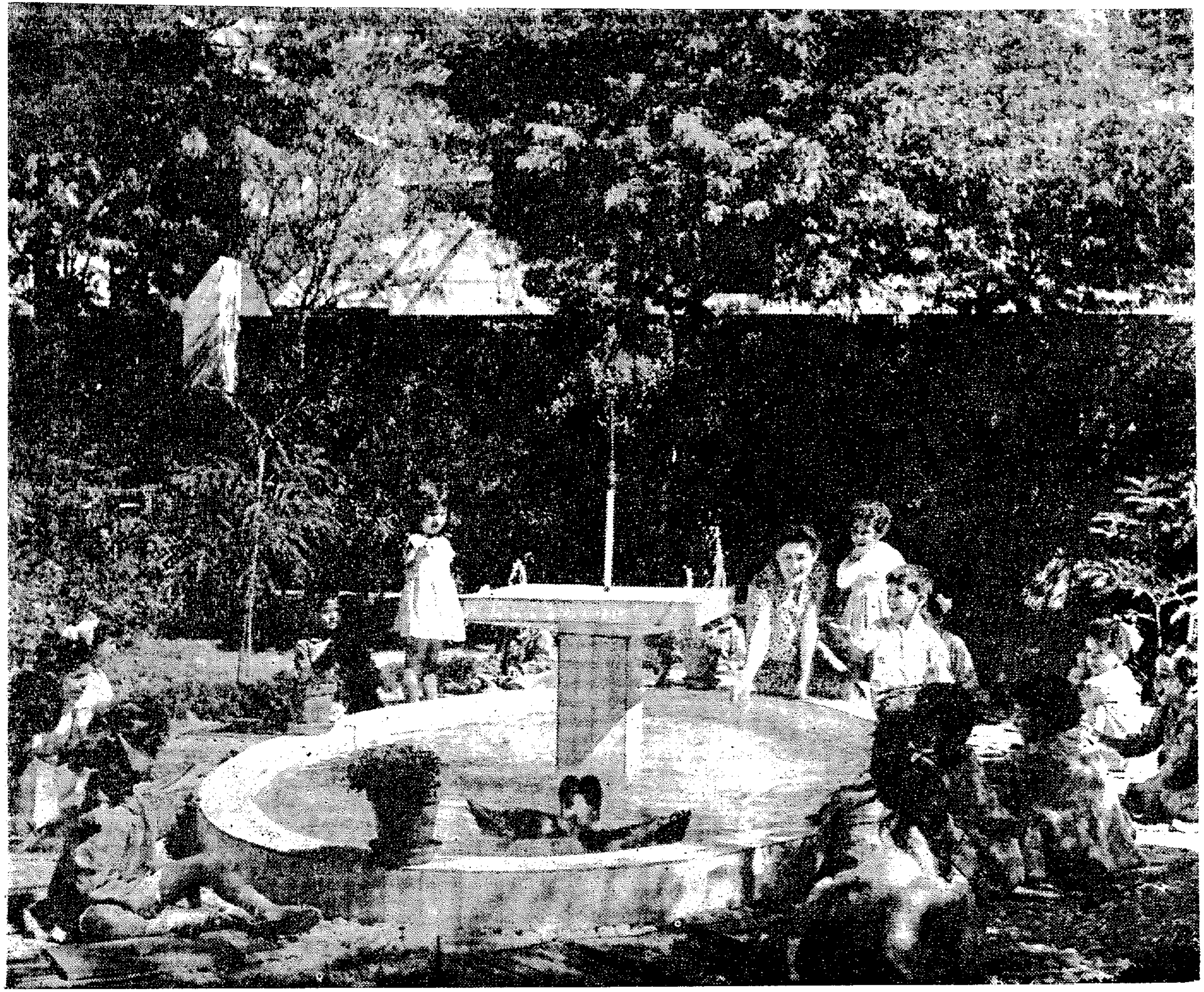

مشهد من رياض الأطفال

طالبات في مدرسة مكفوفي البصر

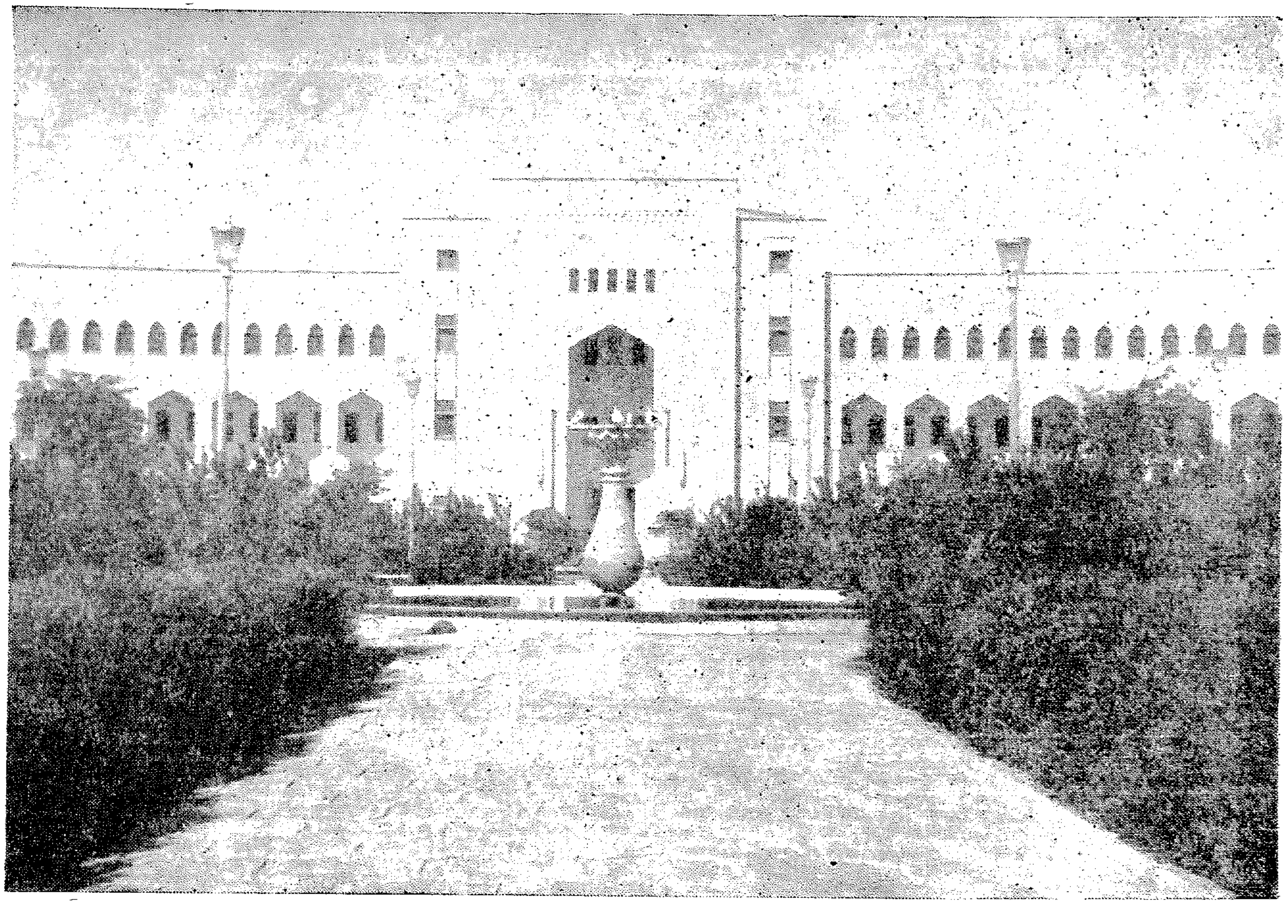

مدخل مدرسة ثانوية الشويخ

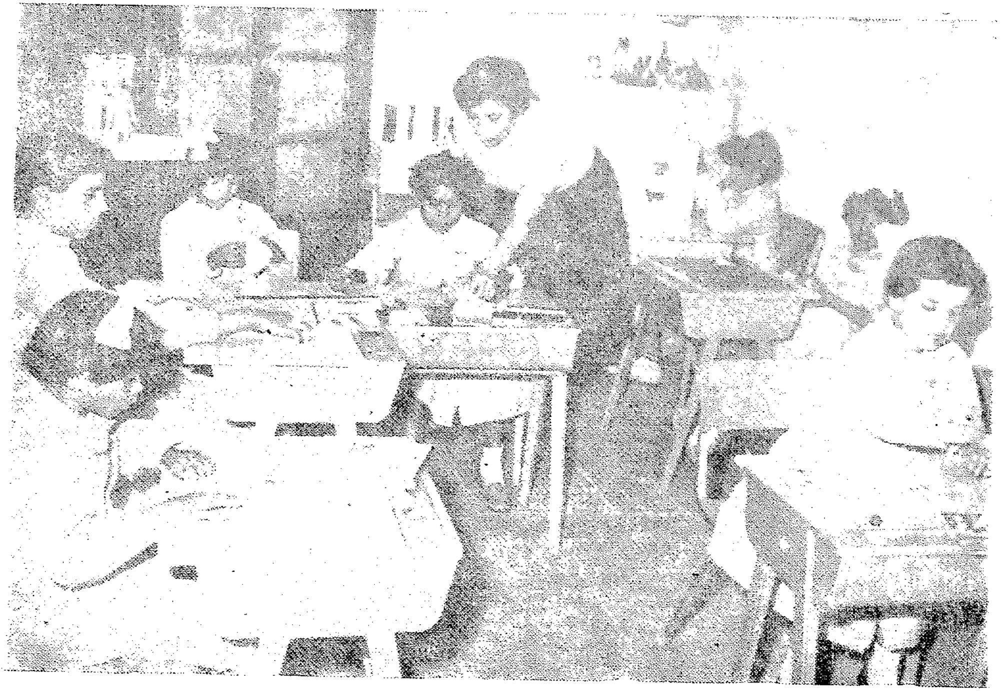

معهد التربية للطالبات والطلاب المتأخرين عقلياً

- ٤ -

انا واثق ان الشعب العراقي ليس بغافلٍ عن هـذه الازمة المفتعلة التي يثيرها عبد الكريم قاسم لإلهائه وصرف انتباهه وتحويل اهتمامه عن قضايا العراق الداخليـة الحساسة .

ففي الوقت الذي يثير فيه هـذه العجاجة الغبراء ، يرزح العراق الشقيق تحت أعباء ضخمة ومسؤوليات جسيمة أذكر منها على سبيل المثال نقصاً عظيماً في المـيزانية العراقية يبلـغ ما يقارب مائـة مليون من الدنانير .

ولكن قاسم ينسى او يتناسى كل مشكلات البلد الداخلية وينصب من نفسه معلماً في التاريخ والجغرافية ، يلقي على الشعب محاضراته بالاكراه . معلم فاشل رسب في امتحانات السياسة الداخلية ، بعد ان فشل في فهم روح التاريخ وحتمية منطقه ، كما عجز عن إدراك الخيط المتين الرفيع الذي يشدّ بـين الانسان وحريته التي تفضل في مجال الاختيار ، على كل قضية جغرافية مزعومة .

ورحم الله المتنبي ، فقد كان نقم على مصر قبل ألف سنة ، انها يحكمها عبد مملوك ، جمع السلطان بين يديه بعد ان قضى على خصومه . ورحم الله المتنبي ، فلقد كان ابتلاه الله ان يعيش في عصر وفي بلاد :

بها نبطيٌّ من اهل السواد يدرّس أنسابَ أهل الفلا
وأسودُ مشفره نصفه يقال له : انت بدر الدجى

ولكن بدر دجى العراق ، فاق بدر دجى مصر ، كافور الاخشيدي ، واستطاعت هذه الألف من السنين ، التي تفصل بين البدرين ، ان تزيد من عبقرية البدر الجديد ، الذي انحدر على العراق من بلاد التتر .

* * *

ترى ، أين ذهبت ملايين الدنانير العراقية التي تكبدتها خزينة العراق خسارة إسراف وتبذير وإنفاق في غير موضعه ؟

أتراها صرفت في المشاريع العمرانية ؟

أم في المشاريع الاصلاحية ؟

أم انها صرفت في سبيل النهوض بمستوى الشعب ؟

اللهم اشهد .. انها لم تصرف في أي من هذه السبل .

اللهم اشهد ان هناك بيوتاً ومناطق من عاصمة العراق نفسها لم يصل اليها بعد نور الكهرباء .

اللهم اشهد ان العراق ما يزال يشكو من فقر ، ومرض ، وجهل .

اللهم ان قاسم أمّم الفوضى في العراق ، سياسة وحكماً وادارة .

اللهم اشهد ان قاسم العراق ، اعترف بالكويت ، ثم عـاد فسحب اعترافه وادعى تبعيتها له ، جشعاً وطمعـاً ، وبالرغم من كل القوانين والدلائل التي تؤكد استقلالها وتؤكد اعترافه ، الذي عاد فأنكره .

كان قاسم قد افصح عن رغبتـه ، في تبادل التمثيل القنصلي بـين الكويت والعراق ، وطلب ذلك خطياً في كتابه الموجه الى حكومة الكويت والمؤرخ في ١٩/١٢/١٩٥٨ .

ان سجلات الكويت الرسميـة ما تزال محتفظة بوثائق المراسلات التي جرت بين الحكومتين ، وهي تثبت ان معاملة الند للنـد ، كانت الروح السائدة في تلك المراسلات .

من هذه الوثائق رسالة رسميـة موقعة من قبل وزير خارجيـة العراق السيد هاشم جواد ، وموجهة الى حكومة الكويت ، تقترح فيها ارسال وفـد كويتي ليفاوض السلطات العراقية حول قضايا التبادل التجاري بين البلدين ، وتاريخ هذه الرسالة هو ١٦ / ٦ / ١٩٦٠

ومن هـذه الوثائق ايضاً رسالة اخرى موقعة من قبل الدكتور طلعت الشيباني وزير النفط في حكومة قاسم ، وهي موجهة الى حكومة الكويت وفيها اشعار بانعقاد مؤتمر البترول في بغداد واقتراح بارسال وفد كويتي يمثل الحكومة الكويتية .

وانا اسأل :

هل تؤيد هذه الوثائق دعاوي قاسم بتبعية الكويت ؟ بعد ان اعترفت حكومته بالكويت وكيانه وشخصيته الدولية هذا الاعتراف الصريح ؟

ان أغبى الاغبياء يدرك بداهة غرابة هذه الدعوى وبطلانها فكيف بأذكى الأذكياء سيادة الزعيم الأوحد ؟

لم يحدث في التاريخ قط ان طلبت دولة الى جزء من اجزائها التابعة لهـــا أو من (قضاء) من أقضيتها طلبات رسمية وبوثائق رسمية مثل تلك التي طلبها قاسم بواسطة وزيريه هاشم جواد وطلعة الشيباني .

وقد يقول قائل انها كتب موقعة من قبل هاشم جواد وطلعة الشيباني ولا يمكن ان يعد الزعيم عبد الكريم قاسم مسؤولاً عنها .

وانا واثق ان مثل هذا القول لن يقوله الا واحد من اثنين : جاهل بأوضاع العراق وسيطرة قاسم على كل شيء بحيث لم يعد الوزراء الا مجرد (كتّاب ضبط) في مكتبه ، أو عالم ساخر ، يريد ان يشير من طرف خفي الى (مهزلة الحكم) التي تمثـــل ادوارها الكوميديـــة على مسرح بغداد !! وقد وزع الادوار على الممثلين ، مخرج ذكي ماهر مختف وراء الكواليس ! .

* * *

وقد يدفعني الفضول وحب الاستطلاع ، ان اطرح سؤالاً آخر مجرداً من كل غاية ، منزهاً عن كل غرض ، الا الاستزادة من المعرفة .

لو كانت الكويت بلداً فقيراً لا نفط فيــه ، أكانت قيامة قاسم قد

قامت ولم تقعد ، مطالبة (بالقضاء) الفقير السليب ؟

اذا كانت الكويت ملحقة بالبصرة في عهـد بني عثمان ، لو افترضنا ذلك افتراضاً ، فان هنـاك اجزاءً اخرى ليست بحاجة الى الافتراض والتخيل ، بل انها تسندها حقائق التاريخ ، فقد كانت اجزاء من تركيا وسوريا ملحقة حقاً لا افتراضاً بولايـة الموصل ، فلماذا لم يطالب بهـا سيادة الزعيم الأوحد الشجاع ، ولمـاذا لم يطالب سيادته بمنطقة الأهواز من ايران ، وهي منطقة عربية يسكنها عرب أقحاح منذ قرون ؟. لماذا لم يسل لعابه طمعاً ، ولم تثر نخوته العربية الأصيلة ؟!

هذه أسئلة ليس لي من ورائها إلا حب الاستطلاع ورغبة في استزادة المعرفة ، واذا لم يستطع سيادة الزعيم الشجاع ان يقدم اجوبتهـا ، فإني مستعدٌ ان اكفيه مؤونة الجواب ومشقته ، ببيت واحد من الشعر ، قاله شاعر عربي قديم منذ اكثر من الف سنة ، وذهب مثلاً :

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة ربداء تجفل من صفير الصافر !

ولله في خلقه شؤون !!

— ٥ —

ما هو موقف قاسم من الحقائق التاريخية الناصعة التي تدحض مزاعمه وتودي بمنطقه المتهاوي ، فتزهق باطله ، وتذيع على الملأ حق الكويتيين الذي لا يمارى في الحرية والأمن في بلدهم ؟

ولقد حفلت سجلات التاريخ بأخبار (اللاجئين) الذين قصدوا الكويت في عهد الشيخ جابر ، من غير الذين ذكرناهم في الفصول السابقة ، نورد هنا بعضاً من اخبارهم تأكيداً لحقيقة ان الكويت ملجأ للاحرار الذين يهربون من جور الدولة العثمانية .

ومن هؤلاء اللاجئين ناصر باشا السعدون ، زعيم « المنتفك » ، وقـد لجأ الى الكويت ايام الشيخ عبد الله بن صباح ، فلم تقدر يد العثمانيـين الجائرة ان تمتد اليه في الكويت .

* * *

وهذه واقعة اخرى ، من نوع آخر ، نسوقها للتدليل على ما ذهبنا

اليه من استقلال الكويت ، ومن انهـا كانت موطن نجدة ، ومقصد استغاثة يجيئها كل لائذ يطلب الغوث والنجدة .

ففي أيام علي باشا والي بغداد ، تمردت بعض القبائل العراقيـة على الحكومة العثمانية ، واحتلت البصرة وطردت منها المتسلم وجنوده العثمانيين. فجاء المتسلم الى الكويت وارتمى على قدمي الشيخ جابر بن عبدالله يطلب النجدة والغوث ، فثارت في الشيخ جابر نخوته العربية النبيلة ، فاستجاب للخلق العربي الأصيل ، وأنجد متسلّم البصرة بسفن ملأى بالرجال والمدافع والذخيره ، وسار مع السفن بنفسه الى البصره ، فكان العامل الفعال في استخلاص البصرة واعادتها الى أهلها . وكان ان شكرت الحكومة العثمانية للشيخ جابر هذه الهمة والنخوة ، واعترفت له بهذه اليد الكريمة .

هل كان هذا الموقف ، يختلف عن موقف أية دولة لها سيادتها على ارضها وقوتها ومنعتها ، انه موقف دولة انتصرت للدولة العثمانية وأعادت واليها الى منصبه .

انه موقف الكويت المستقلة ذات السيادة في ارضهـا ، وذات القوة التي تمكنها ان ترجع الحق الى نصابه .

ان هذه الحادثة وحدها ، لتستطيع ان تقنع اشد الناس غباءً بضلال قاسم وبطلان دعاواه ..

ولكن هل يقتنع قاسم نفسه ؟

ام ان طمعه ولعابه السائل ، يعميانه عن رؤية الحقيقة السافرة ويدفعان به الى الاستمرار في غيه ، حتى ينتهي من تلقاء ذاته الى النهاية المحتومة ، الخسارة والخذلان .

ولو ان هذا الرجل يعيش مع شعب العراق حقاً ، ويعي رأي الشعب فيه وفي حكمه .. لو كان يستطيع الخروج من قلعته في وزارة الدفاع ليقابل حقيقة ذاته في مرآة الشعب .

لو ان هذا حدث ، لتخلى سيـــادة الزعيم الاوحد ، لا عن مطالبته الأشعبية بالكويت وحسب ، بل حتى عن مسؤوليـــة حكم العراق التي فشل في حملها ، كما فشل في تقديرها ، فحقّ عليه حكم الشعب وحكم التاريخ .

* * *

هل كان سلطان قاسم أوسع من سلطان الامبراطورية العثمانية ؟ او لا يرى ان استنجاد العثمانيين بالكويت شيء يعني اكثر من مدلوله الواقعي ، فهو اعتراف واضح باستقلال الكويت وبحرية الكويت ، وهل أدلّ على ذلك من شكر الدولة العثمانية الذي وجهته الى الكويت ؟

يدعي قاسم ان الكويت كانت تابعة للدولة العثمانية .

اما التاريخ فله رأي آخر مسند بالوقائع والوثائق ، وهو ان العثمانيين حاولوا الاستيـــلاء على الكويت ، ولكن محاولتهم فشلت كما فشلت كل المحاولات التي جرت لتحقيق هذه الغاية .

* * *

ان التاريخ يروي ان سنة ١٣١٧ من الهجرة ، شهدت قنصل المانيا في بغداد يقدم الكويت حاملاً معه توصية من مشير بغـــداد الى الشيخ

مبارك الصبـــاح ، لعلّه يستطيع ان يتفق مع شيخ الكويت على تعيين موضع تنتهي اليه سكة حديد بغداد ، فلم يكن نصيب قنصل بغداد الا الفشل ، ورجع الى بغداد ، وليس معه الا خُفّا حُنين كما يقول المثل !

فلماذا فشل قنصل المانيا في مسعاه ؟

لقد فشل قنصل المانيا في بغداد لان الكويت دولة مستقلة لا تعترف للحكومة العثمانية بسلطة او سيادة ، ولو كانت غير ذلك ولو كان حكام الكويت من موظفين لدى ولاة البصرة او ولاة بغداد لما كان مشير بغداد بحاجة الى كتابة كتاب توصية يحمله قنصل المانيـــا معه الى الكويت ، ولكان مشير بغداد أمر ، وحاكم الكويت امتثل ما دام تابعـــاً له ، كما يدعي قاسم وابواقه .

وفي رفض الشيخ مبارك عبرة أخرى تؤكد تمسك الكويتيين بحريتهم واستقلالهم بعيداً من كل نفوذ اجنبي ، مهما كان لهذا النفوذ من غنائم واموال يستطيع ان يقدمها لهم . وهذا ما كانت سكة حديد بغـــداد تستطيع ان تقدمه للكويت .

غير ان التمتع بالسيادة ، والحرص على الاستقلال ، أثمن من جميع المغريات ، واعظم قدسية من ان يكون المال سبباً في انتقاص الكرامة ، وثلم الاستقلال .

* * *

والذي حدث بعد ذلك بين الدولة العثمانية وبين الكويت ، بعد رفض الخط الحديدي الالماني ، يؤكد سيادة الكويت واستقلال سياستها .

فحين عاد القنصل الالماني خائباً الى بغداد ، لم ينسَ الاهانة ، ولا وقف مكتوف اليدين ، بل عمد الى وسائل اخرى متعددة لعله يستطيع تنفيذ مآربه .

ومن هذه الوسائل ، ان حكومته اخذت تحرض الحكومة العثمانية على احتلال الكويت ، واقتنع حكام بني عثمان ، وحاولوا بأكثر من وسيلة ان يسيطروا على هذه البلاد ، ولكن محاولاتهم جميعها ذهبت ادراج الرياح ، وعجزوا حتى عن الاستفادة من بعض الظروف الدولية لتقوية مركزهم .

وبعد هذا الفشل ، وذلك العجز ، رجع العثمانيون الى الطبيعة البدائية ، طبيعة الغاب والقوة ، فبدأوا يبحثون عن سبل للانتقام ، وكان الفشل نصيبهم مرة اخرى .

وهكذا كان ....

ففي تلك السنة وبعد حادثة القنصل الالماني مباشرة ، وعلى وجه التحديد في شعبان من سنة ١٣٢٠ من الهجرة ، امرت الحكومة العثمانية جنودها المقيمين في جنوب العراق في (استحكام الفاو) - ان يحطموا اسداد أفلاك الشيخ مبارك الصباح ففعل الجنود ذلك وفتحوا اربعين منفذاً فيها . وبعد هذا الاعتداء السافر احتج الشيخ مبارك لدى والي البصرة عبد الرحمن حسن بك وقال له :

« لولا وكلاؤنا الذين ما زلت اوصيهم بالهدوء امام هاتيك الحوادث لوقعت فتنة عمياء بين جندك والفلاحين ، ولقد اعتدى جندك على املاكي وتعدوا بما فعلوا الحدود ، فأنا اطالب الان بمجازاتهم ومعاقبتهم على ما

فعلوا وانذرهم ان لا يعيدوا الكرة ، فان لم تفعل فاني لست مسؤولا عما يقع من اضطراب وفتنة فيما بعد ... »

* * *

كثير من الردود ، تنهال على الخاطر كلما فكرت في دعـــاوى قاسم العريضة ، وأحلامه الطويلة ، فهي ردود يزاحم بعضها بعضاً ، وكلها جدير بالذكر ، جدير بالاستشهاد ، جدير بالملاحظة .

ولكن من ابلغ هذه الردود ما فعلته الدولة العثمانية حـــين رفضت تسجيل املاك الشيخ مبارك الصباح في البصرة باسمـــه لأنه (لا عثمانية بيده) ! .

وهذا تفصيل القصة :

فقد كان الشيخ مبارك قد ابتاع من سعدون باشا زعيم المنتفك « بلكة » في البصرة ، وكـــان ذلك في سنة ١٣٢٥ من الهجرة ، ودفـــع الشيخ مبارك ثمن البلكة ومقداره ثمانية آلاف ليرة عثمانية ، ولـــكن الحكومة العثمانية رفضت تسجيل الملك باسمه ، لأن الشيخ مبـــارك (لا عثمانية بيـــده) على حد تعبير السلطة العثمانيـــة . وحاول والي البصرة آنذاك عبد الرحمن حسن بك ان يقنع الشيخ مبارك بحمل (العثمانية) أي الجنسية العثمانية لكي يتم التسجيل حسب الاصول المتبعة ، ولـــكن الشيخ مبارك رفض ، وذهبت محاولات والي البصرة ادراج الرياح .

هذه وثيقة من وثائق التاريخ ، وهل التاريخ الا وثائق ووقائـــع ؟!

ولكن عبد الكريم قاسم يتطاول على التاريخ ويزور احـداثه وسجلاته ، ويا ليته يتخلى ولو قليلا عن أشعبيته المكابرة ، ويسأل الثقاة من مؤرخي العراق الكبار ، وهو حافل بهم ، لكي يظهروا له باطل دعواه وزيف وثائقه ووهم أحلامه .

ولكن قاسم لن يفعل ذلك ، وهو يملك مثل هـذا العقل المضطرب الذي اوصدت دونه جميع ابواب التاريخ ونوافذه .

غير ان لنا نصيحة اخرى نزجيها الى سيادة الزعيم الاوحد ، فان الزمن لم يمض بعد على موسوليني وهتلر ، وله فيهما أسوة سيئة ! واذا كان العالم قد نسي نيرون المجنون ، فانه مـا يزال يذكر خليفتيه هتـلر وموسوليني ، ومـا يزال في مقدور قاسم ، ان يستمد العبرة من نهـاية هذين المهووسين ، قبل ان يكون القطار قد فاته ، وحينئذ لا ينفع الندم ، ولات ساعة مندم !

* * *

ومن التاريخ هذه الواقعة :

في ايام الشيخ جابر الاول بن عبدالله الصباح ، قدم الى الـكويت وفد انكليزي يحـاول اقناع شيخها بحمل الراية الانـكليزية ضد الدولة العثمانية ، فـلم يرض الشيخ بذلك وابى الانقيـاد الى مشيئة الانكليز قائلاً لهم :

« **ان الحكومة العثمانية جارتنا** ، وجل ما نحتاجه يأتينا من البصرة التي لها فيها الأمر والنهي » .

فقالوا وهم يعدون ويرغبون :

« ان الكويتيين محتاجون الى الهند ، وسفنهم تصل اليها » ، فما زاد الشيخ جابر على ان اعطاهم أذناً صماء .

وبذل الانكليز محاولتهم الاخيرة فاستأذنوا الشيخ في البناء في الكويت فلم يأذن لهم ، فسألوه قائلين :

« أو تسمح للعثمانيين بنزول بلدك والبناء فيها ، أم انك تمنعهم كما منعتنا ؟ » فقال :

« تمنعهم من ذلك ان كان فيه ضرر لنا ولبلدنا .. »

وهكذا انتهت هـذه المحاورة التاريخية بين الكويت وبريطانيـا وهي محاورة تثبت بالدليل القاطع سيادة الكويت واستقلالها عن الدولة العثمانية .

والا ، فهل يمكن لأحد رعاياها ، ان يقول (نمنعها من البنـاء ان كان فيه ضرر لنا ولبلدنا ..) ؟

وارجو ان ينتبه القاريء الى هـذا النص : (ان الحكومة العثمانيـة جارتنا) ، فالشيخ جابر لم يقل ان الحكومة العثمانية (حكومتنا) بل قال انها (جارتنا) .

فهل بمثل هذه الحقائق يدعم قاسم افتراءاته ؟

وليت شعري .. وليت شعر عبد الكريم قاسم ايضاً لمَ لم تعزل الحكومة العثمانية الشيخ جابر الاول وتعين بدلا منه (قائمقامـاً) آخر كما يريد الزعيم الأوحد ان يفعل ؟

وبعد ..

فاذا كان الجنون بكل فنونه ، قد اصاب عبد الكريم قاسم ، ودفعه دفعاً الى مثل هذا الهذيان ، فليس لنا ، نحن الذين انعم الله علينا بنعمة العقل ، إلا ان ندعو الله مخلصين ، ان يشفي حاكم بغداد من جنونه ، وان يعيـد اليه عقله ، لعله يعي ما اقترفت يداه ، ولعـله يصلح من اخطائه ، فيصمت ، ويلجم لسانـه ، ورحم الله امرءاً عرف نفسه ،

اللهم ، آمين .

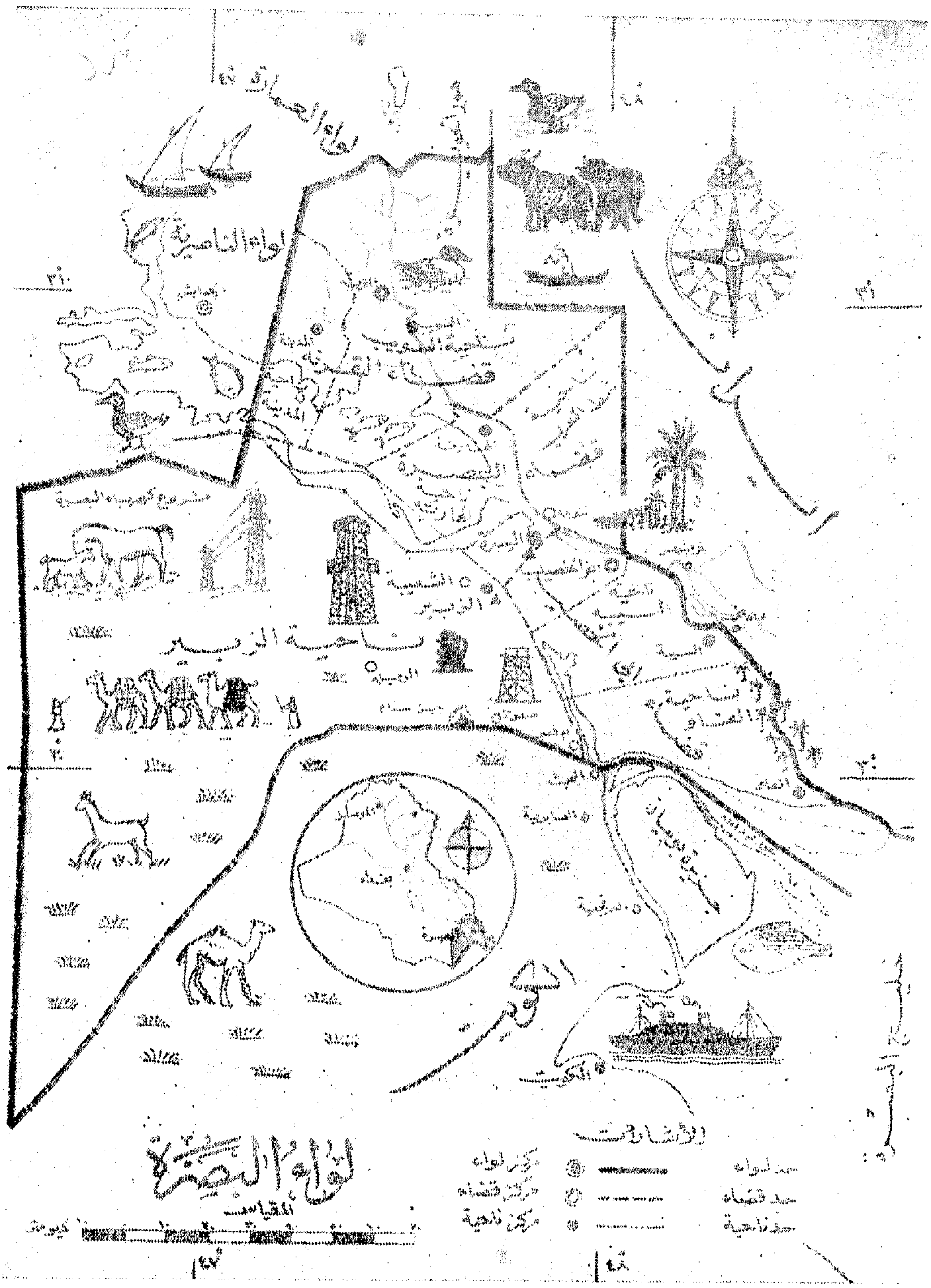

خريطة لواء البصرة كما وردت في كتاب يدرس في المدارس العراقية

حديقة عامـــة

شارع فهد السالم وهو من الشوارع التجارية في الكويت

ومن معاد القول ، ان نؤكد هنا مرة أخرى ، ان كل ما ورد في التاريخ القديم والحديث عن الكويت وعن رجالها ، وعن كل من كانت له صلة أو شبه بالكويت ، كل اولئك يؤكد ان الكويت دولة حرة مستقلة منذ ان ظهرت الى الوجود حتى الآن .

ان هذا من معاد القول ، ولكن هلوسة الزعيم عبد الكريم قاسم ، واصرار ابواقه على الادعاء وتزييف الوقائع والحقائق ، يدفعاننا الى الإكثار من الاستشهاد بالأدلة التاريخية لتفنيد دعاواهم ، ودحض افتراء الحاكم المهووس الذي سجن نفسه في وزارة الدفاع ببغداد ، ومن هناك ساق قوافل التحرير ، على الخرائط فقط ، لتحرير كل بلد شاء سوء حظه ان يخطر في بال عبد الكريم قاسم !

ومن وقائع التاريخ الحديث هذا الدليل :

فمنذ ان اعلن رسمياً استقلال الكويت عن الحماية البريطانية ، سارعت الدول العربية أولاً ، ثم الأجنبية ، الى الاعتراف بهذا الاستقلال ، واحدة بعد الأخرى ، بالرغم من ان الكويت ليس لها سفارات او ممثليات في هذه الدول ، وبالرغم من ان الدعاوة للكويت تكاد تكون في حكم النادر أو المعدوم

وباء بالفشل الذريع ، كل ما حاولت ان تفعـله سفارات قاسم عواصم هذه الدول بغية الحيلولة دون اعترافها ولم يستطع قاسم ، و سفاراته ، ولا زبانيته ان يقنع دولة واحدة ، بتسخير ضمائر حكامها ومجاراته في ضلاله ، لسبب بسيط جداً ، هو ان هـذه الدول تحترم نفسها ، وتأبى ان تتخلى عن سيادتهـا ، ليتصرف الحمقى والمجانين شؤونها الخاصة . ولأن الضمير العالمي يقظ منيع أمـام غوغائية الد- والشعوذة ، فلم يعد من الممكن حجب قضية الكويت وطمس استقلاله بنزوات متهوّرة ، فلم يعد في مسرح التاريخ اليوم ، مكان لأمثال نيرو وهتلر ، ولا حتى لأمثال عبد الكريم قاسم !.

وأصبح استقلال الكويت صريحاً واضحاً وضوح اشعة الشمس ، و قاسم يشكو ويحتج ، ومثل جميع حججه عن الكويت ، متهافتة بالية وسرعان ما انهارت امام منطق التاريخ وحقائق الواقع .

فقد رددت اذاعته ان الاستعمار يتحفز من الكويت ليطبق على العر ويحرم شعب العراق حريته واستقلاله ، ولكن قاسم نسي ان في الكو حكومة عربية اصيلة ، تأبى ان تمسّ سيادة اي شبر من ارض الو العربي الكبـير ، سواء أكان في العراق ، أم كان في اقصى المغر العربي .

وليس هذا ادعاءً ، ولا رمياً بالكلام على عواهنه ، بل إنه حق إنسانية عربية ، أكد صحتهـا واقع التاريخ الحديث ، ولا سيما اثـ العدوان الثلاثي على الشقيقة مصر (الجمهورية العربية المتحدة) سنة ٩٥٦ ومـا أشك في ان قاسم يذكر كيف كانت عواطف شعب الكويت

خلال معركة السويس في حين كان هو وأمثاله يرضخون صاغرين لمشيئة حكام العراق .

وليطمئن قاسم ، وليقرّ بالاً ، وليطمئن زبانيتـــه ، وليقروا ، فلن تصدق الشعوب ولا الافراد ، دعاوى قاسم وهلوساته ، ولن ينخـــدعوا بأية محاولة لاستدرار عطف السذج من الناس ، فلن تكون تلك المحاولات اكثر من دموع تماسيح ، لا مبرر لها إلا اصطناع الغيرة على الوطن ، وافتعال الحرص على الشعوب العربية وحريتها واستقلالها

فان القوات البريطانيـــة التي كانت قد جاءت لنجدة الكويت نجدة سريعة في حال تعرضه للعدوان ، قد انسحبت الى قواعدها ، ولم يبق الا اشقاء عرب جاءوا لنجـــدة اخوانهم ولمنع الدم العربي ان يهدر في سبيل نزوات هوج ، لرجل مهووس ، وحتى هؤلاء الاشقاء العرب ، انسحبوا من الكويت ، بعـــد ان طلب سمو حاكم الكويت ذلك ، ولم تبق منهم الا قوة رمزية لا يزيد عدد افرادها على ثلاثمائة جندي فقط ، انها قوة « رمزية » ، لا غاية لها ، الا افهام قاسم ان الكويت دولة مستقلة ذات سيادة وان العرب لن يسمحوا بانتهاك حرمـــة هذه السيادة وذلك الاستقلال ، مهما كان السبب ، ومهما كانت الظروف .

* * *

ولكن اذاعة قاسم ، ما تنفك تعيد اغنيتهـــا المفضلة ، مدعية ان الكويت « قضاء » عراقي سليب .

ولنناقش هنا قضية (السلب) هذه ، ونقلبها على جميع أوجهها ،

ولنبدأ هذه المناقشة بهذا السؤال :

من هو (سالب) الكويت ؟

ان تكن بريطانيا (سالبة) الكويت ، فان بريطانيـــا قد رحلت ، وقد غاب وجودها عن الكويت .

وان يكن الكويتيون هم الذين سلبوا الكويت ، فان هـــذا أغرب مفهوم للسلب ، اذ كيف يسلب شعب من الشعوب أرضـــه ، وليتفضل اصحاب هـــذا الادعاء ، مشكورين ، فيدلونا على مالك سابق للكويت غير سكانها الحاليين ؟ وليتفضل اصحاب هذه الدعوى فيقرأوا التاريخ ، وليأخذوا منه العبرة والتعيين ، وان كانوا من الذين لا يقتنعون بجدوى دراسة التاريخ ، ولا يستفيدون من عظاتـــه وعبره ، فنحن نريدهم ان يقرأوا التاريخ لا ليستفيدوا من عبره ، فهـــذا شأنهم وحدهم ، ولكننا نريدهم ان يصححوا اخطاءهم التاريخية وان يوسعوا من آفاق معرفتهم ، لعل التاريخ يمنحهم ثقافة اعمق وارسخ ، ولعلهم يرعوون ، فلا يدّعون على التاريخ ، ولا يزورون وقائعه واحداثه .

واننا لنريدهم ايضاً ، ان يحسنوا استعمال الكلمات في معانيها المعروفة ومدلولاتها المحددة .

فالسلب ، في العرف الانساني ، هو ان يسطو احدهم على ممتلكات الآخرين فيأخذها لنفسه ، وليس (سلباً) ان يكون الانسان مواطناً في بيته وبين اهله ، وممارســاً لحقه في ارث اجداده ! . وان كان الكويت (سليباً) حقاً . فما هي الواقعة التاريخية التي اغتصب فيها الكويت ، ومتى كان ذلك ، وكيف ؟ ومن كان المالك الأول قبل أهل الكويت ؟

وكيف كان دفاعة وتضحياته للابقاء على ملكه ، اذ لا يعقل ، حتى في عرف عبد الكريم قاسم ، ان يتخلى مالك عن ملكه دون مقاومـــة او احتجاج او حتى صراخ واستغاثة .

ولماذا انبثقت قصة (القضاء السليب) فجأة في عهـــد عبد الكريم قاسم ، ولم يقل بها نوري السعيد مثلاً ، والمعروف عنه انه كان يطمع في الكويت ، مثل طمع صفيه وموضع ثقتـــه الزعيم الركن عبد الكريم قاسم آمر اللواء التاسع عشر !. وحاكم العراق ورئيس وزرائه بعد ١٤ تموز ١٩٥٨ ؟!

* * *

واما الدولة العثمانية ، فلم تكن الكويت جزءاً من اراضيها ، بل كانت غريبة عنها عدوة لها ، وذلك واضح من مواقف العثمانيين من الكويت ومعاملتهم لها ، فلقد كانت تؤلب عليها القبائل وتزودها بالمال والذخيرة لغزو الكويت ، كما فعلت مع ابن الرشيـــد ، الذي سيأتي الحديث عنه في موضع آخر من هذا الكتاب .

* * *

وفي العراق رجل مسؤول ، هو هاشم جواد وزير الخارجية ، ولهذا الرجل مواقف جد غريبة .

فلقد أشاع هذا الوزير في مجالسه الخاصة ، وبين اصحابه ، انه لم

يكن على علم بما ينوي ان يصرّح به عبد الكريم قاسم عن الكويت ، وانه غير متفق معه في هذا الموضوع ، وهذا ما تتحدث به الاوساط الخاصة وغير الخاصة في بغداد وفي غير بغداد ، بل لقد اشاع ، او اشيع عنه ، انه قدم استقالته احتجاجاً !. ولكن هذا الرجل ، يشدّ الرحال الى هيئة الامم المتحدة ، ويقف خطيباً او مصرحاً فيناقض نفسه بنفسه ، او لعله يخدع نفسه حين يرضى ان يكون صوتاً لسيده في بغداد ، يأمره فيأتمر ، ويوحي اليه فيتمثل ، فيخرج على العالم بأراجيف قاسم وتهويشه ويرضى لنفسه ، وهو الدبلوماسي الخبير ، ان يمثل هذا الدور الفاشل على مسرح هيئة الامم ، وان يصل به الأمر الى حد الخوف من ان يقول لقاسم : لقد اخطأت ، في حق الكويت ! ونحن لا نطالب هاشم جواد بتزييف الحقائق ولا بالتجني على التاريخ ولكننا نطالبه ان يكون (وزير خارجية) حقاً ، فيحافظ على رزانته . ويقيس أقواله وتصريحاته بمقاييس الحكمة والعقل والمنطق فليس لأي وزير خارجية ، مهما كان ، ان يرمي الكلام على عواهنه ، او ان يهرف بما لا يعرف !.

ولكن هاشم جواد ، كانت له ، مثل سيده ، دعاوى وافتراءات ، ومن جملة هذه الدعاوى ، ومما يضحك الثكلى قوله « ان الكويت بلد متأخر » ! وليس لنا من جواب على هذا الادعاء ، الا ان نضع أمام أعين هاشم جواد وامثاله ، بعض التقارير عن تقدم الكويت واعماره لعلّهم يتعظون ، او لعلهم يعملون على رفع مستوى بلادهم الى مثل مستوي الكويت ، بل حتى الى مستوى قريب من مستوى الكويت ، بدلاً من ان يعملوا على ابقاء الشعب العراقي الحبيب في مستواه الاقتصادي المنخفض ، وتحت رحمة الجهل والمرض .

في الكويت ، يا سيدي وزير خارجية العراق اكثر من ١٥٠ مدرسة و٤٠ مستشفى ومستوصفاً ، والتعليم والعلاج مهيأ للجميع مجاناً .

واليك يا سيدي الوزير مفاجأة اخرى ، ارجو ان لا تحملك واسيادك على زيادة الحقد ، فان وزارة التربيـــة في الكويت تعد العدة لافتتاح جامعة الكويت في مطلع عام ١٩٦٤ .

فهل تكون الكويت متأخرة ، وفيها مثل هذا التقدم ؟

واذا ما قورن العراق الشقيق بالكويت ، فهل تكون الكويت متأخرة وهي تبني جامعة في بلد لا يزيد عدد سكانه على ثلاثمائة الف نسمة ؟. وأين (جامعات العراق) وسكانه يربو عددهم على سبعة ملايين نسمة ؟!

لم يستطع هاشم جواد الا ان يردد دعاوى سيـــده قاسم ، ولست أظن قاسم نفسه بجاهل حقيقة هذه النهضة الكبرى التي تعم الكويت ، واذا كان يجهل ذلك ، فليس لي ألا ان اردد مع الشاعر العربي القديم :

اذا كنت لا تدري فتلك مصيبـــةٌ

وان كنت تدري فالمصيبة اعظم ..

ولكن ، اذا كان قاسم يدري ، او لا يدري ، فتلك هي مصيبتـــه وحده ، واما نحن الكويتيين ، فيكفينا ان الرأي العـــام العالمي ، يدري بنهضتنا ويدري ان قاسم ، لن يكون إلا احد اثنـــين : جاهل جهلاً مطبقاً ، او متجاهل لغاية في نفس يعقوب !.

* * *

ومع هـذا ، فاني أحيل اللواء عبد الكريم قاسم ، ان كان يرغب في زيادة معلوماته ، الى احد اركان حكومته وزير ارشاده السابق ، وسفيره الحالي الدكتور فيصل السامر .

فقبل الثورة العراقية ، لجأ الدكتور فيصل السامر الى الكويت هرباً من حكام العراق ، وعمل مدرساً في المدرسة الثانوية في الكويت ، وهو استاذ للتاريخ ، ومن طبيعة الاشياء ان يكون استاذ التاريخ ملماً ، وعلى علم تام بكل مـا كان يجري في الكويت لرفع مستوى الشعب ثقافيـاً وصحياً ، وما اظن هذا الانسان المثقف الواعي ، والمؤرخ الممحّص ، يستطيـع ان ينفي جهود الكويت ، لإلحاق بلادهـا بركب الحضارة الحديثة .

ولو كان لقاسم اي انسجام مع اعضاء وزارته ، ولو كان وزراؤه وزراء حقـاً ، لا كتاب ضبط ، لكان سأل وزير الارشاد عن تطور الكويت وتقدمه ، ولكان الوزير قـد بسط له الحقائق والوقائع ، وإني لعلى ثقة كبيرة بان الوزير ، حين يتجرد من الغـايات والاهواء الصفراء والحمراء ، يستطيع ان يقنع قاسم باخطائه ، وان يطلعه على ما حققتـه النهضة الكويتية من انجازات ضخمة في زمن قصير جداً .

ولكن مشكلة العراق ، ان لا عبد الكريم قاسم منسجم مع وزرائه ، معتمد على مشورتهم ورأيهم ، ولا وزراء قاسم وزراء حقاً .

اما ابواق قاسم فاننا نحيلها الى تلاميذ الكليات العراقية الذين زاروا الكويت مؤخراً ، فانهم يستطيعون ان يسألوهم عن مدى اعجابهم وتقديرهم للنهضة الكويتية العظيمة .

ماذا أقول ، بل ان قسماً من هؤلاء الطـلاب تمنّوا ، حين زاروا المطبخ المركزي ، لو ان في العراق مثل نصف هذا المطبخ الذي يمـد جميع مدارس الكويت بالغذاء الكامل ! كما تمنوا ، لو ان حكومة العراق تعنى ، ولو عناية جزئية ، بالنظام والتغذية والبناء ، كما هي الحـال في مدارس حكومة الكويت !.

اما المستشفيات ، فكانت مفاجأة لهم ، بتجهيزهـا الحديث الممتاز ، وبنائها الصحي الجميل ، وعلاجها المجاني الموفر للجميع .

كل هذا شاهده الطلبة العراقيون ، وتمنوه او جزءاً منـه لبلادهم ، فلماذا لا يشغل قاسم ، ومن وراءه ، انفسهم بتحقيق امنيات ابناء الشعب في الرخاء والرفاه ، بدلاً من إشغـال انفسهم بأمور باطـلة لا طائل وراءها إلا البلبلة ، والاضطراب ، والعدوان على حقوق الآخرين .

* * *

وسوف استعير الآن لغة الأرقام ، لأوضح بعض النسب البيانية للنهضة الانشائية الحديثة في الكويت ، ولأبدأ بالمستشفيات منذ سنة ١٩٤٩ :

السنـة	الانجازات
١٩٤٩	المستشفى الاميري ، ومستشفى الامراض العصبية والنفسية القديم بالمقوع الشرقي .
١٩٥٠	النواة الأولى للصحة الوقائيـة ، والأشعة والمختـبرات . قسم العيون بالأميري .

١٩٥١ المحجر الصحي ، البيطرة ، الصحة المدرسية .

١٩٥٢ المصح الداخلي (للامراض الصدرية) . زيادة عدد المستشفيات .

١٩٥٣ مصح النساء (للامراض الصدرية) ، قسم الاسنان .

١٩٥٤ ملحق المستشفى الأميري ، مستشفى الامراض السارية .

١٩٥٥ زيادة عدد المستوصفات ، تعميم الخدمات الصحيـة الوقائية . انشاء مراكز رعاية الأمومة والطفولة ، انشاء مراكز مكافحة السل ، دار الايتام .

١٩٥٦ نواة الصحة الاجتماعية ، توسيع ادارة الصحة المدرسية ، توسيع ادارة الصحة الاجتماعية ، عيادة الامراض التناسلية ، مراكز مكافحة السلّ ، المعهد الصحي ، فحص الاشعة الجموعي .

١٩٥٨ مركز فحص المقدمين على الزواج ، مستشفى الجذام ، المعهد الوقائي للاطفال ، مدرسة مساعدات الممرضـات ، مستشفى الامراض العصبية والنفسية بالشويخ .

١٩٥٩ زيادة المستوصفات وتعميمها ، افتتاح مصح الكويت ، اعادة افتتاح المعهـد الصحي ، مصح المقوع ، الارشاد والتثقيف الصحي ، العلاج الطبيعي ، القوانين الصحية .

١٩٦١ مستشفى الولادة الحديث ، بنك الدم ، مستشفى الصباح وهو مفخرة مستشفيـات الشرق الاوسط حجماً وبنـاءً وتجهيزاً واعداداً .

١٩٦٢ مستشفى الامراض الصدرية وهو يتسع لثلاثمائة وخمسين سريراً.
مستشفى مبارك الكبير في الطريق الدائري الرابع ، المستوصف المركزي بالروضة ، مستوصف المجمع للاخصائيين ، مستوصف الفحيحيل ، دار الايتام ، مستوصف الامراض الصدرية للنساء ، مستشفى الامراض السارية ، المحجر الصحي للحجاج ، ملحق مستشفى الامراض العصبية . المستودعات المركزية للادوية في وزارة الصحة العامة .

اما تجهيزات هذه المستشفيات وابنيتها فالصورة المنشورة في هذا الكتاب توضح تقدم الكويت ونهضتها في هذا المضمار .

وحسبنا ان نذكر هنا ، ان اخر احصاء للعاملين في هذه المستشفيات حتى نهاية سنة ١٩٦١ كان كما يلي :—

- ٢٥٠ طبيباً (في التطبيب العام)
- ٢٥ طبيب اسنان
- ٨ اطباء بيطرة

و

- ٣٤ صيدلياً
- ١٠١ مساعد صيدلي

و

- ٥٣٠ ممرضة
- ٢٦٧ مساعدة ممرضة
- ٦٢٥ مضمداً .

ويكفي ان نشير الى (معاهد التربية الخاصة في الكويت ليدرك غير الكويتيين المدى الذي وصلنا اليه من الرقي والتقدم والعناية بالانسان عقلا وجسماً ، ومن هذه المعاهد :

- معهد النور للمكفوفين
- معهد الامل للصم والبكم
- معهد التربية للطلبه المتأخرين دراسياً .

ان معاهد البنين منفصلة عن معاهد البنات ، وقد خصص للطلبة المقيمين في القرى سكن خاص ، كما خصص للطالبات سكن اخر . وتقوم ادارة المعاهد بنقل هؤلاء الطلاب والطالبات الى منازلهم في القرى بعد ظهر الخميس من كل اسبوع وتعيدهم مساء الجمعة .

ولقد انشأ مجلس المعارف سنة ١٩٦٠ مجمعاً يضم هذه المعاهد كافة ، كما خصص اجنحة خاصة تحتوي على (ورش) مختلفة لاعمال الخيزران والنجارة والنسيج والسجاد والجلود والحفر على الخشب وغير ذلك .

وهكذا يُعدّ الطلاب في الكويت اعداداً مهنياً اضافة الى الاعداد الثقافي وبذلك تكون الكويت قد سبقت بلاد الشرق الاوسط كافة في التخفيف عن هؤلاء المصابين وتأهيلهم لحياة طيبة معقولة .

فهل بعد كل هذا ، يستطيع احد ان ينسب الى الكويت التأخر الثقافي او الصحي ؟

* * *

أو لا يزال قاسم مصمماً على الاستناد الى حججه الواهية في دعم

مطالباته بالضم والالحاق والجمع ؟ .

ولقد كان الحكم العثماني قد امتد فشمل جُلّ بلاد العرب ، فكان شرقي الاردن تابعاً لولاية الشام ، وكانت نابلس وعكا ، في فلسطين ، تابعتين لولاية صيدا في لبنان ، فلماذا لم تطالب دولة لبنان بنابلس وعكا ، ولم تدع دولة سوريا ان شرقي الاردن قضاؤها السليب ؟

ولو فرضنا جدلا ان حاكم الكويت كان حقاً قائمقاماً تركياً يطيع اوامر الحكومة العثمانية فهل يستطيع مؤرخ ان يدلنا على رجل استطاع ان يظل في مركزه قائمقاماً طوال عمره ؟. أهي وظيفة وراثية في عرف التاريخ وفي مفهوم المؤرخين ؟ ولنقلب ، بل لننقب في اسفار التاريخ لعله يذكر لنا ، ولو مرة واحدة ، ان هناك في بطون التاريخ ، قائمقاماً ابن قائمقام او اخاً لقائمقام . كما هي الحال في الكويت ؟

أهناك وظيفة ثانوية او فرعية في دولة من الدول يمكن لصاحبها ان يحتفظ بها محصورة فيه وفي ذريته لمدة طويلة ؟.

أم ان رئاسة القبيلة ثم زعامة الدولة هي الوظيفة الوحيدة التي يجوز ان تكون وراثية ، لأن صاحبها له حريته التي لا يتخلى عنها ، ولا إرادة لانسان فوقها ؟

* * *

وجرياً على منطق قاسم (العثماني) الغريب عن اي منطق عربي او قومي ، واذا كانت (العثمانية) حجة قاسم الوحيدة التي يعتمدها لكي

يبرر ابتلاع الكويت وانتهاب ثرواتها ، فان للقارىء الحق في ان يسأل سيادة الزعيم الاوحد هذا السؤال :

بأية صفة كانت الدولة العثمانية تحكم البلاد العربية ؟ ولم لا تعـود تركيا الان فتطالب بحقها في البلاد العربيـة وهي التي حكمت قروناً ، تولي من تشاء ، وتعزل من تشاء .

لم لا تطالب تركيا بالعراق مثلاً ؟ وماذا يكون موقف قاسم آنذاك ان حاولت جارته تركيا ان تورد حججها وأدلتها التي لن تختلف عن حجج قاسم وادلته ، حين يطالب بالكويت ؟ .

ان كانت هذه الملهاة التي يمثلها الساسة الذين نبذهم الشعب ، قـد استطاعت ان تملأ فراغ وجودهم ، وان تخدع بعض السذج من الناس ، وان تستقطب حولها مجموعة من الحواة الذين يرقصون على مائدة العراق، ويمارسون ألعابهم البهـلوانية ، فان هذه السياسة الخرقاء لن تلبث ان تنكشف ، ان لم تكن قد انكشفت فعلاً حين فضح شعب العراق هذه اللعبة التي طالت اكثر مما ينبغي ، ولسوف يأتي وشيكاً اليوم الذي ينبذ فيه شعب العراق العربي كل مشعوذ دجال كان من سوء حظ البلد ان يتولى مقاليد أموره في غفلة من الزمن .

وحكم التاريخ حكم جازم قاطع لا مراجعة فيه !

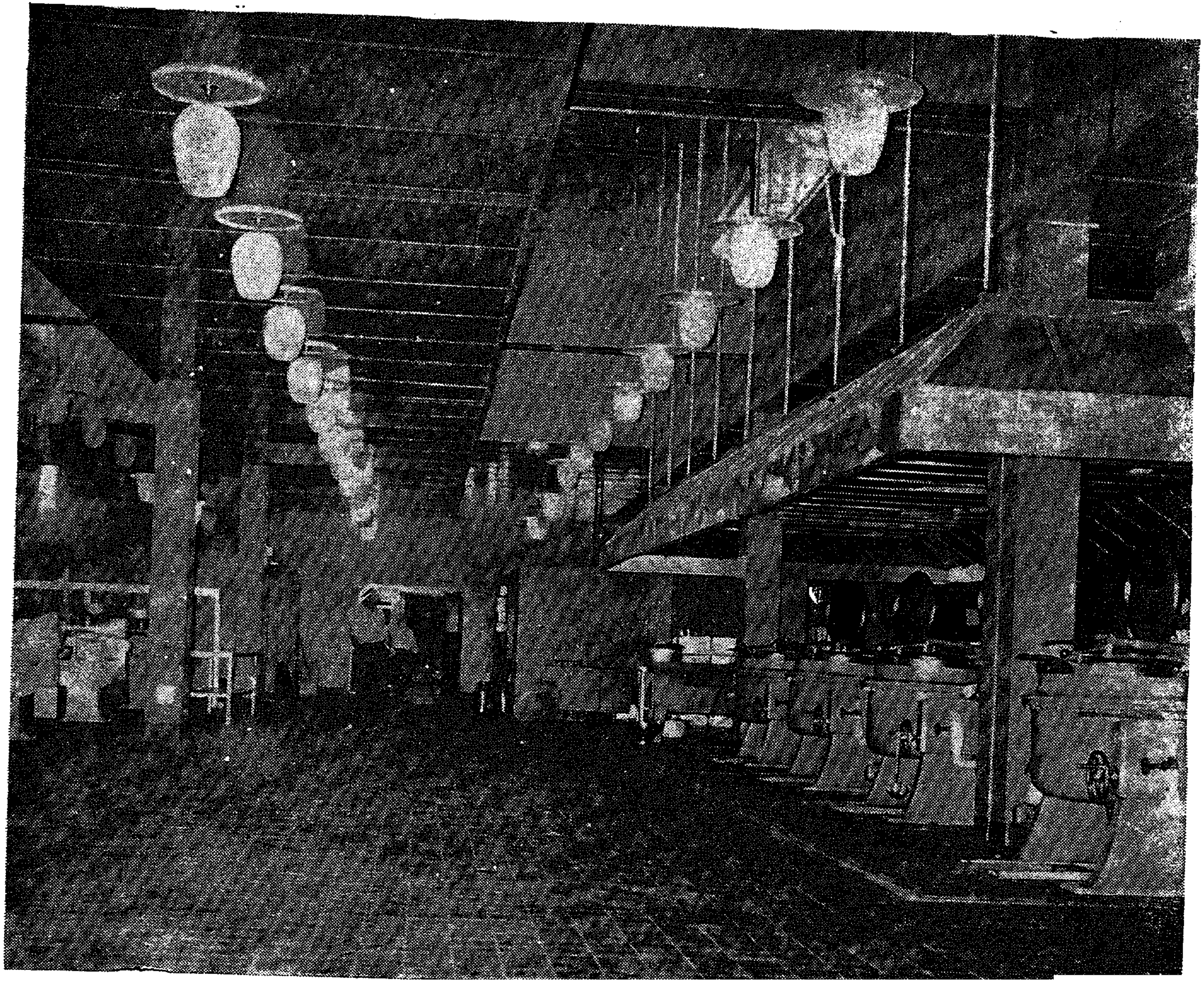

المطبخ المركزي وتدار جميع آلاته بالكهرباء

فتيات يتلقين دروسا في التمريض

طالبات يعملن وظائفهن

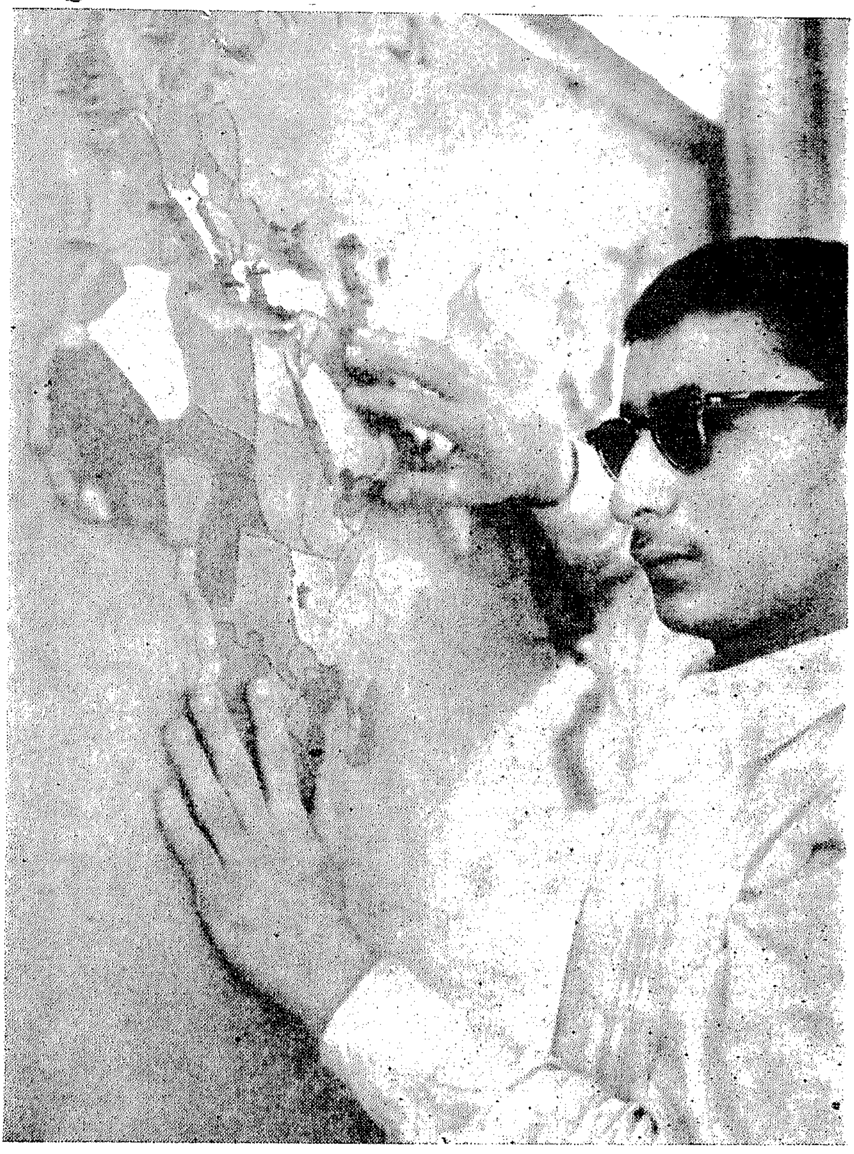

طالب في مدرسة مكفوفي البصر

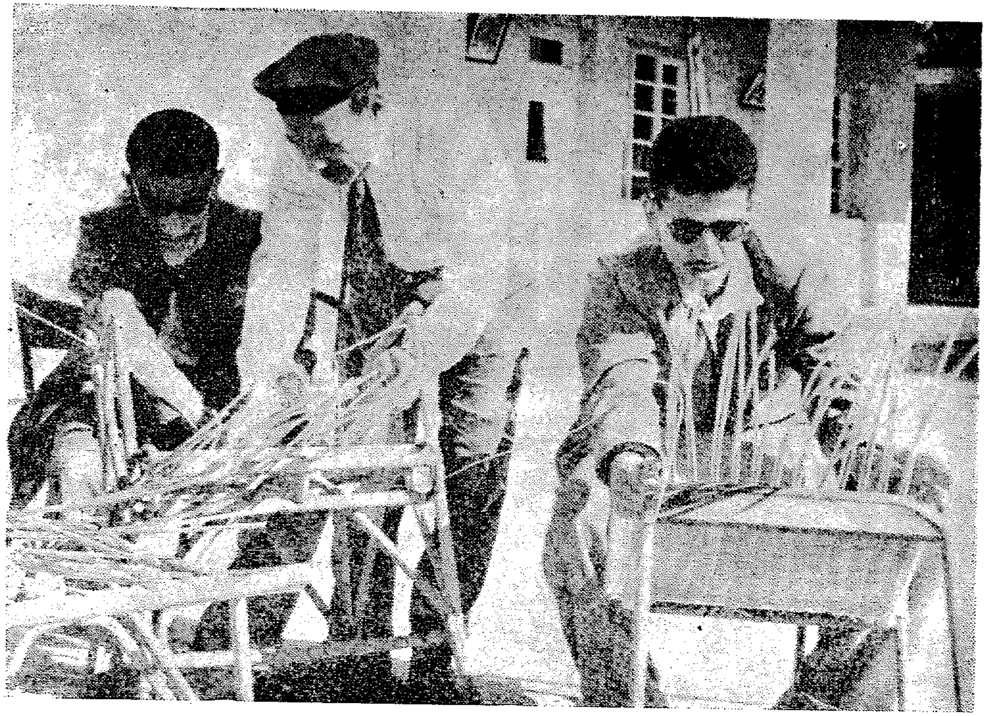

طلاب من طلبة معهد النور لمكفوفي البصر يمارسون أعمال الخيزران

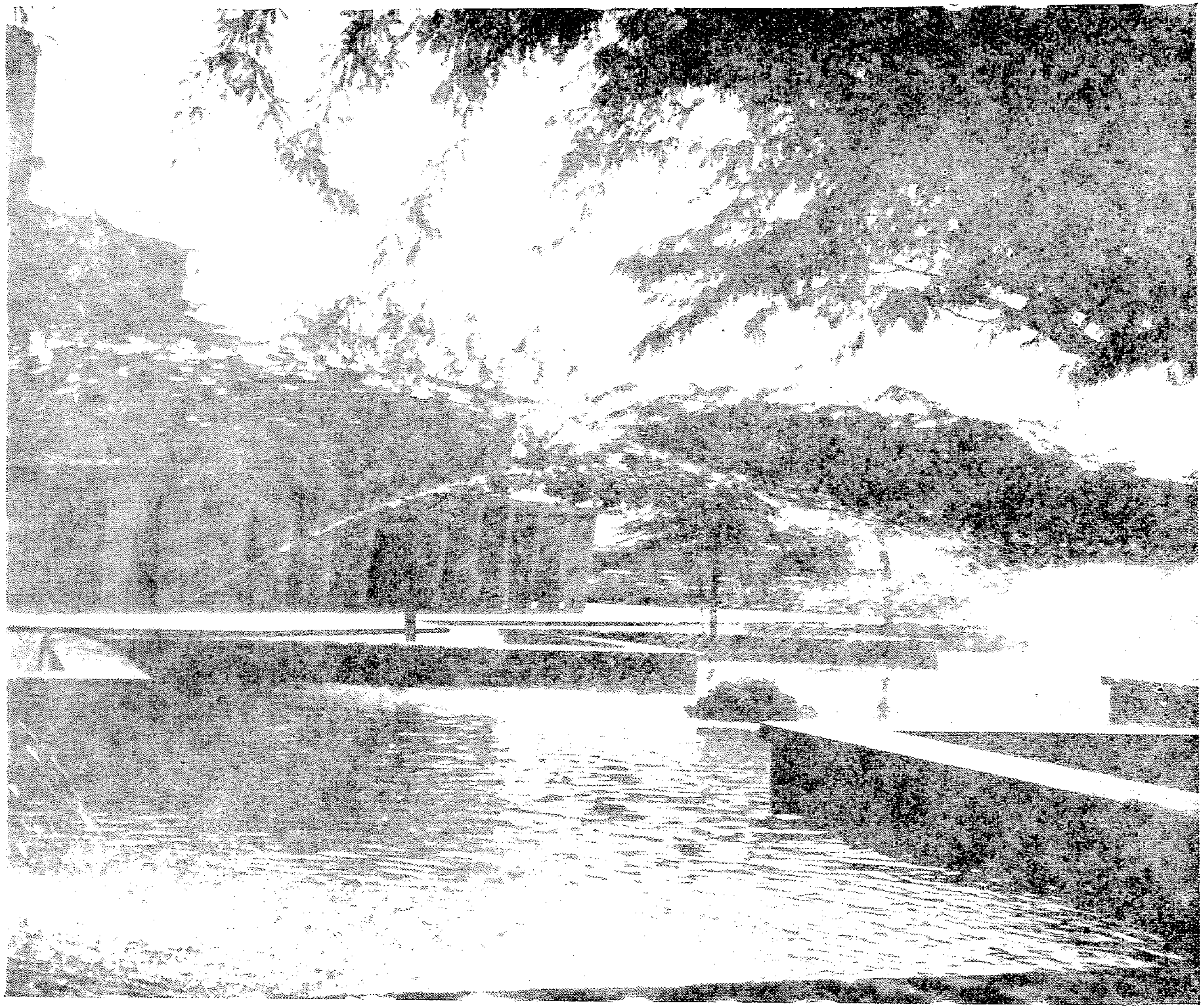

حديقة في محطة تقطير المياه

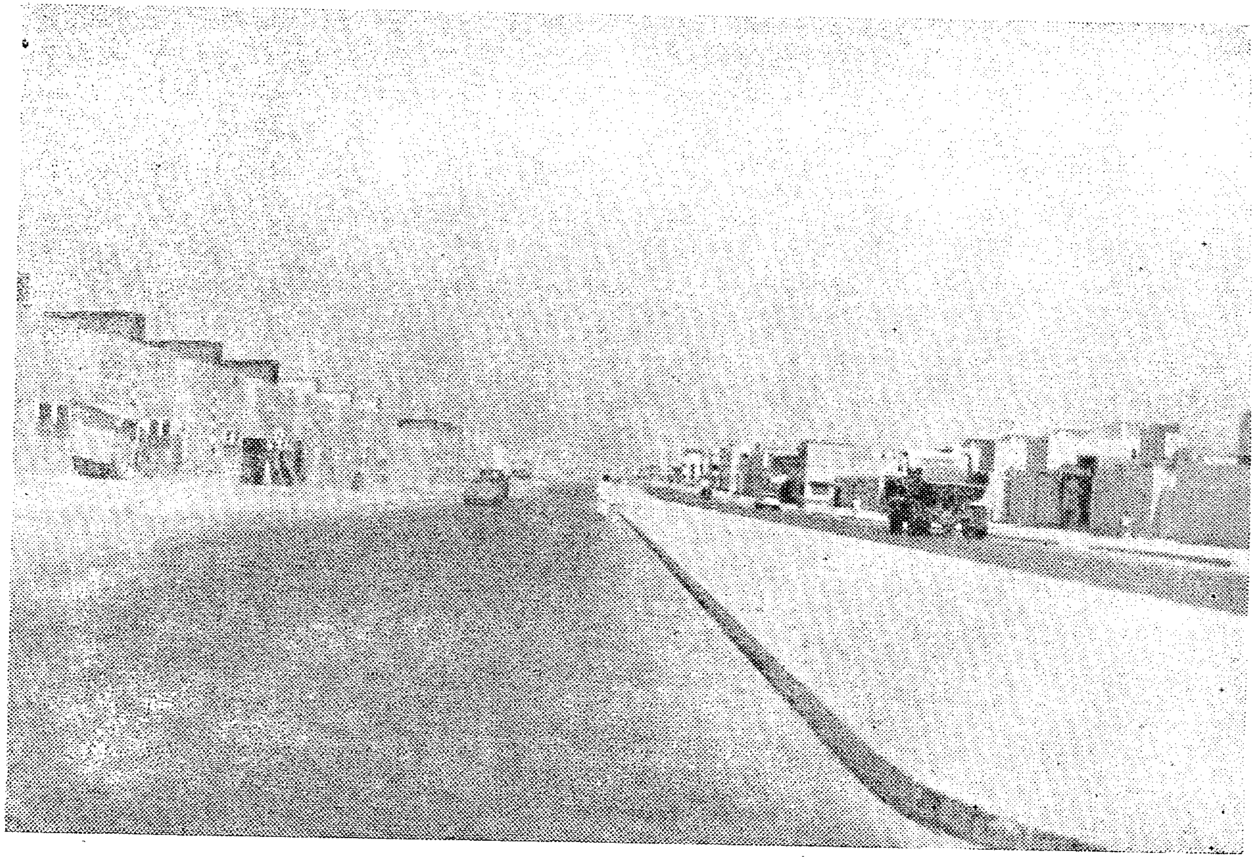

منظر لمقاطعة سكنى ذوي الدخل المحدود

– ٧ –

اشرنا من قبل اشارة عابرة الى قصة ابن الرشيد ، وأجلنا الاستفاضة في سردها لكي لا نقطع سياق الحديث .

ولكن من حق القارىء العربي الان ان يطلع على هذه القصة ، وان يعرف كيف كانت الدولة العثمانية تحرض عملاءها على غزو الكويت او التحرش بها ، وحسبنا ذلك دليلاً على منعة الكويت وسيادتها امام كل تدخل اجنبي ، حتى ولو كان عثمانياً !

وردت هذه القصة في (تاريخ المملكة العربيــة السعودية) للاستاذ صلاح الدين المختار ، وفي الصفحة الخامسة والعشرين من الجزء الثاني من ذلك الكتاب .

وخلاصتها ان السلطان العثماني عبد الحميد اراد ان يستعين بابن الرشيد على الكويت وشيوخها ، وكانت لابن الرشيد صلات ود ومصلحة مع الباب العالي ، ومن باب الود والمصلحة دخل الباب العالي الى اطماع ابن الرشيد ، فأخبره ان الحكومة العثمانية لا تمانع ان يستولي ابن الرشيد على الكويت ويضمها الى مملكته ما دام ابن الرشيد وآله من اتبــاع الدولة

العثمانية المخلصين . وكان هذا كافياً لأن يستقبل ابن الرشيد بادرة العثمانيين هذه بسرور لا يوصف ، وان يشحذ انياب طمعه للاستحواذ على الميناء الكويتي ، والدعامة المكينة لدوام هذا الملك الرحب في حوزة آل الرشيد .

وبدأ عبد العزيز بن الرشيد يعد العدة ، ويرسم الخطـة لهجوم كبير على الكويت ليثبت اقدامـه ، ان انتصر ، على مشارف البحر ويسيطر على الخليج ، ويقوي من مكانته ويعلي من شأنه ، ولكن الرياح لا تجري دائماً ، بما تشتهي السفن ، كما يقول الشاعر العربي القديم ، وهكذا كان .

ففي سنة ١٩٠٠ من الميلاد حشد ابن الرشيد قواته من عشائر شمر ، وهي عشائر حرب وقتال ، وتوجه بها الى امـاكن معينة بقصد غزو الـكويت ، وأدرك الشيخ مبـارك الصباح انه اصبح مـا بين أمرين لا ثالث لهما :

فاما حياةٌ لشرّ الصديق　　　واماّ مماتاً يُغيظ العدى

واختار الحياة ، والكرامة ، وانتهى هذا الحشد الكبير الموجـه الى الكويت نهايته المعلومة في وقعة (الصريف) وباءت كل مشاريع الرشيد واحلامه ، وانتهى وهمه الكبير في السيطرة على الكويت والخليج ، وارتد كيد العثمانيين الى نحورهم ، وقد ورد ذكر كل ذلك مفصلا في الصفحة الخامسة والثلاثين بعد المائة وما بعدها من كتاب (تاريخ الكويت) تأليف عبد العزيز احمد الرشيد .

ليت شعري ، ألا يكفي هذا بياناً وتوضيحاً لموقف الحكومة العثمانية من الكويت ، وهي تحرض ابن الرشيد وتعضده لكي يهاجم هذه البلاد الآمنة الرابضة على مشارف الخليج ؟

واذا كانت الكويت تابعة للنفوذ العثماني حقاً فكيف يقف العثمانيون هذا الموقف منهـا ، وكيف يرضون ان تسلخ من امبراطوريتهم وتعطى الى شيخ عشائر شمر !؟

* * *

وقـد تكون الكويت رفعت العلم العثماني فترة قصيرة من الزمن وفي ظروف خاصة ، ولكنها لم تكن في ذلك تابعة للعراق ، الذي رفع العلم العثماني طوال الفترة المظلمة التي حكم فيها العثمانيون البلاد العربيـة ، ولم تفعل الكويت ذلك ، وهذا ما أيده التاريخ .

ولو فرضنا جدلاً ان هناك مجالاً للمطالبة بالكويت على اساس هذا الافتراض (التبعية للدولة العثمانية) ، فان هـذا المجال لن يكون مجال العراق بل مجال الدولة العثمانية أو الجمهورية التركية الآن ، فهي وحدها ، اذا سلّمنا بهذا الافتراض على سبيل الجدل والمثال ، هي وحدهـا من يستطيع الادعـاء بحق مبخوس في العراق وفي غير العراق من البلدان العربية .

وليتساءل قاسم بعد ذلك ، وليخمن ، ماذا يكون موقفـه في هيئة الأمم ؟!

واذا كان قاسم لا يزال يحلم ان يحكم الكويت ، فاننـا لنريده ان يعلم ان الكويت ، في جميع مراحل تاريخها ، لم يحكمها حاكم من غير أهل الكويت ، ولم تتدخل الدولة العثمانية طيلة ايامها ، في اختيار « قائمقام »

قاسم المزعوم ، ليحكم شعب الكويت ، هذا « القائمقام » الغريب الذي اخترعته مخيلة قاسم في ساعة من ساعات جنونه المتواصلة .

* * *

ويحدثنا التاريخ مرة أخرى ، على لسان مؤلف « تاريخ المملكة العربية السعودية » في الصفحة الرابعة والثلاثين وما بعدها ان ابن الرشيد حين علم بوجود خصمه الأمير عبد العزيز آل السعود في الكويت ، قام بمهاجمة اطرافها وأغار على خليط من العربان اسمهم (عريبدار) وسلبهم وعاد الى دياره مظهراً لا مبالاته بما يعرفه من اخبار عبد العزيز آل السعود الذي لم تستطع يد ابن الرشيد ان تطاله في الكويت .

وللدلالة على الحرية والحفاظ عليها وعلى عروبة الكويت وكرامة الأمة العربية ، نورد من الكتاب نفسه هذه القصة الواردة في الصفحة السبعين وما بعدها :

فبعد انتصار ابن السعود على ابن الرشيد ، سعت الحكومة البريطانية الى عقد معاهدة معه ، وعلم امير الكويت الشيخ مبارك الصباح بالأمر ، فأرسل الى ابن السعود كتاباً ينبهه وينصحه ويقول فيه :

« يا ولدي ، كن معه صلباً ، ولا تمكنه من شيء ، ولا تعطه الجواب النهائي » .

وكذلك فعلت الحكومة العثمانية ، بعد ان تأكدت من فشل ابن الرشيد ، فسعت هي ايضاً الى عقد معاهدة صلح مع ابن السعود فأرسلت

اليه وفداً عثمانياً برئاسة طالب باشا النقيب .

وأسرع امير الكويت هذه المرة ايضاً ، فارسل الى ابن السعود ينبهه وينصحه ويقول له :

« احذرك من هؤلاء الكذابين الخداعين ، كن صلباً معهم يا ولدي ، ولا تمكنهم من شيء ، ولا تصدق مـا يقولون . انهم كـذابون خداعون » .

وهكذا كان مركز امير الكويت ، وهكذا كانت مكانـة الكويت واستقلالها ونفوذها السياسي حين تشارك في توجيه سياسة المنطقة بالرغم من وجود الدولتين الكبيرتين بريطانيا والدولة العثمانية .

لقـد كانت الكويت في درجة من الوعي السياسي بحيث لم تقنـع باستقلالها والعيش بعزلة عن مشكلات المنطقة المجاورة ، بل كان لها شأن ورأي ، في حفظ التوازن السياسي في المنطقة ، وكان لها الاطلاع الدائم الدائب على كل ما يجري حولها من احداث واتفاقات اقليمية او دولية .

. . .

اما قاسم ، فلا ضير ولا بأس ابداً من استمراره في دعاواه الرعناء ، وسياسته المتهورة التي لن ينال اذاها سواه ، بعـد ان حرم الالوف من ابناء الشعب العراقي الحبيب ، مما كانت تدره عليهم العلاقات الاقتصادية الحسنة بين البلدين ، وكان على رأس هذه الفوائد ان الوفاً من العراقيين كانوا يكسبون عيشهم في الكويت بعرق الجبين وبالعمل الشريف .

وليسأل قاسم اي مواطن من اهل البصرة ، عن نتيجة هذه الازمة المفتعلة التي اصطنعها ، فقطعت علاقات الاقتصاد والتجارة بين البلدين ، وعن آثار سياسة قاسم الرعناء في اقتصاد بلده نفسه ، ولا سيما البصرة .

ولن يجد قاسم حينذاك إلا جواباً واحداً ملؤه التبرم والاستياء من هذه السياسة الجنونية ، التي يتبعها حكم قاسم الذي يتمنى كل الشعب زواله ، لكي ينعتق هذا الشعب من الظلم ، ويزيح عن صدره عبء هذا الكابوس البغيظ ، كابوس قاسم .

ولماذا لا يعود قاسم عن غيّه ، وهو الذي ادرك ، قبل غيره ، ما اقترف من اخطاء ، بحق الكويت ، وبحق العراق ، وكيف لا يدرك الخطأ وهو يرى سياسته تفشل ، وخطته تفضح ، ونواياه تكشف ، وليس هناك من اي امل في تحقيق اي جزء من احلامه .

اجل ، لماذا لا يعود قاسم عن غيّه ؟

الحق انه سؤال عويص .. وجدير بالتوجيه الى اكثر من جهة ، انه جدير ان يوجه الى قاسم نفسه الذي لن يجيبه بغير المكابرة والعناء ، ما دام قد سار في طريق نهايته ، وليس هناك من امل له في النجاة ، لا في الاقدام ولا في النكوص .

وهو سؤال جدير بأن يوجه الى شعب العراق ، الذي يستعد ان يجعل من قضائه على قاسم وحكمه ، احسن جواب عن هذا السؤال .

واذا كان قاسم لا يعود عن غيه ، بسبب المكابرة والعناد ، ولأنه اخذتــه العزة بالأثم ، فان شعب العراق الحبيب يعرف ان المكابرة لن تكون بديلاً للاخلاص الذاتي في العمل والمسؤوليــة ، وان قاسم ، ان كان مخلصاً لشيء ، فهو مخلص فقط لأنانيته ، واطماعه الشخصية ، التي ينقم الشعب عليها ويتحين الفرصة المؤاتية للقضاء عليها وعلى صاحبها !

- ٨ -

إني واثق ان الادلة التاريخية والمنطقية التي سقناها كافية بحد ذاتها لاقناع اكثر الناس تعصباً لرأي قاسم ، بالارتداد عن هذا التعصب ، والرجوع الى الحق ، كما انها كافية لكشف الغشاوة عن عيني كل من خدعته دعاية قاسم وابواقه ، ووصفت له الأمور على غير حقيقتها .

بل إني لواثق ان كثيراً من الناس مقتنعون بزيف دعاوى قاسم قبل ان يقرأوا هذا الكتاب ، وقبل ان يسمعوا الى وجهة نظر حكومة الكويت في الموضوع ، لسبب بسيط جداً هو انهم استطاعوا ان يعرفوا عبد الكريم قاسم على حقيقته ، وتوصلوا الى كشف حقيقة الوضع في العراق ، والتناقضات العظيمة التي يعانيها شعب العراق الشقيق .

ولكني ، في الوقت نفسه ، واثق تمام الثقة ان هذه الأدلة وذلك المنطق وتلك الحقائق ، لن تقنع قاسم وابواقه ، او بالأحرى ، لن تصد قاسم عن غيه ، ولا ابواقه عن الكذب على التاريخ

ولهذا سبب مهم يجب ان نتتبع جذوره في واقع العراق وفي مشكلاته

الآنية الداخلية والخارجية ، فهي المفتاح الوحيد الذي يوصلنا الى كشف سرّ قاسم ، وبطانته ، بحيث فتح قاسم وبطانتـــه عيونهم فجأة ، فلم يجدوا لهم غير هــذا السبيل يسلكونه ، لعلهم يطيلون عمرهم ، اياماً ، او شهوراً ، ولن أقول : سنين !.

فما هو واقع العراق الراهن ، الذي يدفع حكامه الى الاستمرار في حملة تزييف الحقائق هذه وفي تحريف عواطف الشعب حين يدعون انهم يتكلمون باسمه ؟

الأمر الأول الذي يجب ان نؤكده ههنا ، هو ان عبد الكريم قاسم فشل في حكم العراق ، وفي فرض السيطرة التي يريدهـــا على البلد او يريدها له الآخرون ، فعمد الى هذه الطريقة (الكلاسيكية) المعروفة ، يريد توجيه انظار الشعب وراء حدود العراق ، لعله يستطيع بذلك ان يطمس الحقائق داخل العراق وضمن حدوده .

وللعراق امكانات عظيمة ، لم يتوفر مثلها لكثير من البلدان ولا سيما في منطقة الشرق الاوسط ، بل إنه مرشح ان يكون من ارقى البـــلاد العربية ان لم يكن ارقاها ، وهو مرشح ان يقف على قدم المساواة مع كثير من الاقطار الأجنبية الأخرى ، وليس ذلك بغريب ولا كثير على العراق الذي بدأ فيه تاريخ الانسانّ ، بل ان بعض الباحثـــين يصر على ان العراق كان جنة عدن التي ورد ذكرها في الكتب المقدسة .

ومناخ العراق مناخ ممتاز ، بل مناخـــان مختلفان ، واحد في الشمال وآخر في الجنوب ، ففي الشمال جبال شماء ، وخيرات جبلية لا تحصى ، وفي الجنوب سهول خضر وسهوب خصبة ومرابع جميلة ، تنساب فيهـــا

الانهار العذبة وتحمل في امواجها دفق الرخاء والنماء والخصب .

ولكن كل ذلك لم يستطع ان يحقق الرخاء والاستقرار والطمأنينة في عهد عبد الكريم قاسم ! .

والعراق خير بلد يمكن ان يمثل في الاقتصاد نظريـــة الاكتفاء الذاتي انتاجاً واستهلاكاً ، بل انـــه ليستطيع ان يصدر الى الخارج وبكـثرة وسعة ، كثيراً من اصناف المواد الغذائيـــة ، ولكنه الآن ، يستورد الكثير من هذه المواد من الخارج ؟

ان باستطاعة نهر دجلة وحده ان ينظم ويهيىء من الموارد الاقتصادية مـــا يكفي لاعاشة عشرات الملايين ، ان توفرت لدى الشعب ، ظروف اقتصادية وسياسية تضمن الاستقرار وتشجع الافراد على الانتاج والابداع في جميع مجالات الاقتصاد زراعة وتجارة وصناعـــة ، ولكن واقع العراق الراهن يثبت عكس هـذا ، لأن عبد الكريم قاسم قسم شعب العراق الى اكثر من فئـــة ، وألب جماهير الشعب بعضها ضد بعض ، واخمد كل حماس للانشاء والبناء ، فهجر الكثير من ابناء الريف قراهم واراضيهم ، وبذلك انخفض مستوى المعيشة ، وانتكس اقتصاد البلد ، فبعد ان كان العراق يصدر الأرز والقمح والشعير والمواشي بنسبة كبيرة ، اصبح الآن يستوردها من الخارج ليسد حاجات الاستهلاك المحلي .

والعراق الحبيب ينوء بسبعة ملايين من الناس ، ولكن ارضه الخصبة وخيراتـــه العميمة ، تكفي عشرات الملايـــين ، وتستطيع ان توفر لهم طمأنينة النفس ورغد العيش .

وفي العراق معادن لم تستغل ، ومناجم لم تكتشف ، وفيـــه الذهب

الاسود ، عصب المدنية المعاصرة ، يتدفق بغزارة وكرم ، وفيه الانهار العظيمة والتربة الخصبة المعطاء ، فيه كل هـذه الخيرات ، ولكن عهد عبد الكريم قاسم لم يستطع ان يستثمرها ويستغلهـا على الوجه الحسن ولمصلحة الشعب العراقي ، بل ان حكومته كثيراً ما واجهت أزمات مالية خانقة حين أوشكت اكثر من مرة ان تعجز عن دفع رواتب الموظفين ، لولا أقساط النفط التي يلح عبد الكريم قاسم على استلامها قبل موعدها .

ان عبد الكريم قاسم لم يستطع ان يغني الشعب العراقي ولم يستطع ان « يرفع الفقراء الى مستوى الاغنياء » كما يحلو له ان يردد ، فلم يجد بدأً من تحويل انظار الشعب والهائه بقضيـة الكويت التي لم تكن إلا أزمة مفتعلة اراد قاسم اشعال فتيلها لعلّها تطيل من ايامه .

ومن لشعب العراق يسهر على مصالحه ويرعى اموره ، ان لم تكن الدولة هي الساهرة والراعية المخلصة الأمينة ؟!

لقد مضى على ثورة العراق اكثر من اربع سنوات فماذا حقق زعيم الثورة في هذه الاعوام ؟

ماذا حقق وفعل غير المهاترات واثارة الفتن بين الآمنين من ابنـاء الشعب ، وغير نشر الخراب والدمار ؟!

عجز في الميزانية .

تفكك وانحلال ، وتفسّخ .

بطالة متفشية

خذلان وفشل تام في السياستين الداخلية والخارجية .

كره وحقد مميت .

هذا حصاد عهد عبد الكريم قاسم ، فهل يمكن ان يزول كل ذلك باضافة أهل الكويت الى شعب العراق الذي تـــدور على رأسه رحى الحكم القاسمي ؟.

ان الكثير من رجالات الفكر والرأي في العراق يستنكرون هـــذه الأزمة ويسخرون من دعاوي عبد الكريم قاسم ولقد تكلم بعضهم بصراحة عن الزيف والاصطناع اللذين تزدحم بهما حجج عبد الكريم قاسم الواهية ودعاواه ضد شعب الكويت ، بل ان بعضهم قال ان عبد الكريم قاسم يريد ان يجعل من الكويت (موصلاً) ثانيـــة او (كركوكاً) أخرى يجرب فيها براعة حكمه في السحل والتقتيل والتعذيب والارهاب !.

وليت شعري ، هل كانت الكويت اسرائيل المغتصبـــة التي يعيش شعبها في قلق من الغزو القاسمي ؟!

ان الساكت عن الحق شيطان أخرس ، والحقيقة الناصعة التي لا مراء فيها هي ان لعاب عبد الكريم قاسم يسيل لميزانية شعب الكويت ولهذا فهو يطمع ان يمتلكها لكي يسّد العجز في ميزانيتـــه ويستر إفلاس خزينته !.

وقد نسي ان الكويت تمد يدها دائمـــاً وابداً لمصافحة جميع العرب الأخيار ولا تألو جهداً في سبيل رفع أي حيف عنهم ، كما لا تألو جهداً في سبيل الاستعانة بهم على رد الحيف عنها ان جاءهـــا من جار غاشم جاهل يسمى زعيم العراق الأوحد !.

لقد نسي عبد الكريم قاسم ان شعب الكويت يفتح ذراعيه لاستقبال كل أخ عربي ومساعدته في محنتـــه ، وان ثروة شعب الكويت كانت وستبقى مكرّسة لانماء اقتصاديات البلاد العربية الاخرى ومساعدتها على سد حاجاتها ، مساعدة الأخ للأخ ، والندّ للندّ .

وتلك هي أصالة الخلق العربي منـــذ ان أشرقت على جزيرتهم شمس التاريخ والحضارة !.

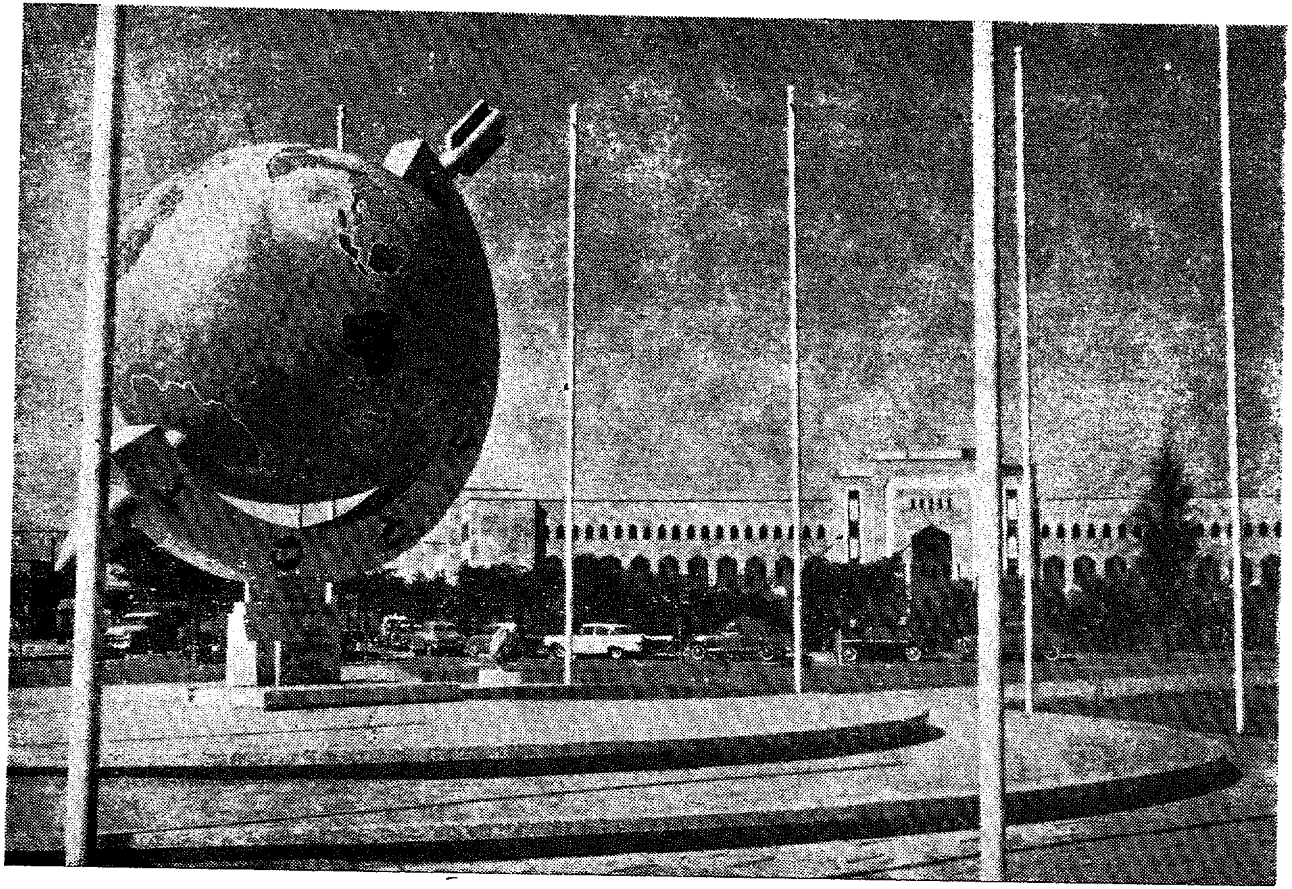

مدرسة ثانوية الشويخ وستصبح جامعة في سنة ١٩٦٤

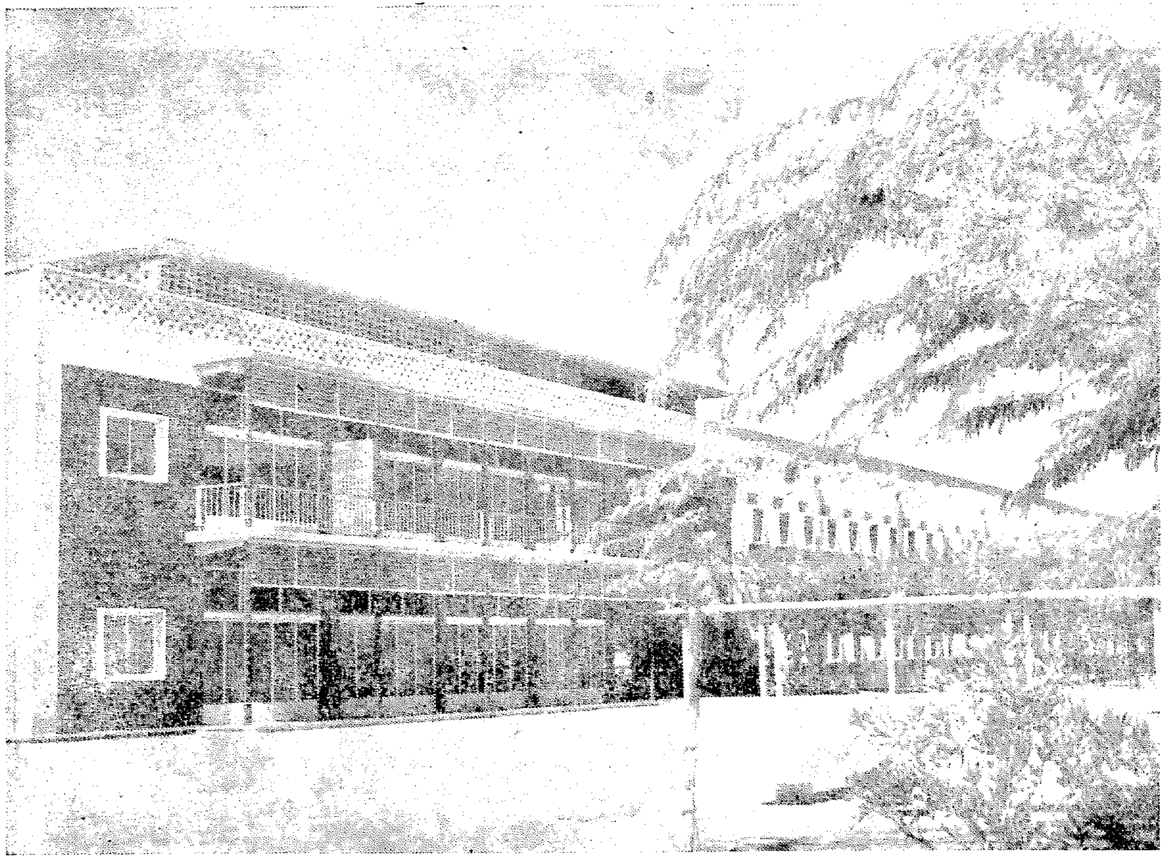

الكلية الصناعية

طالبات في مدرسة مكفوفات البصر

طلاب في رياض الأطفال

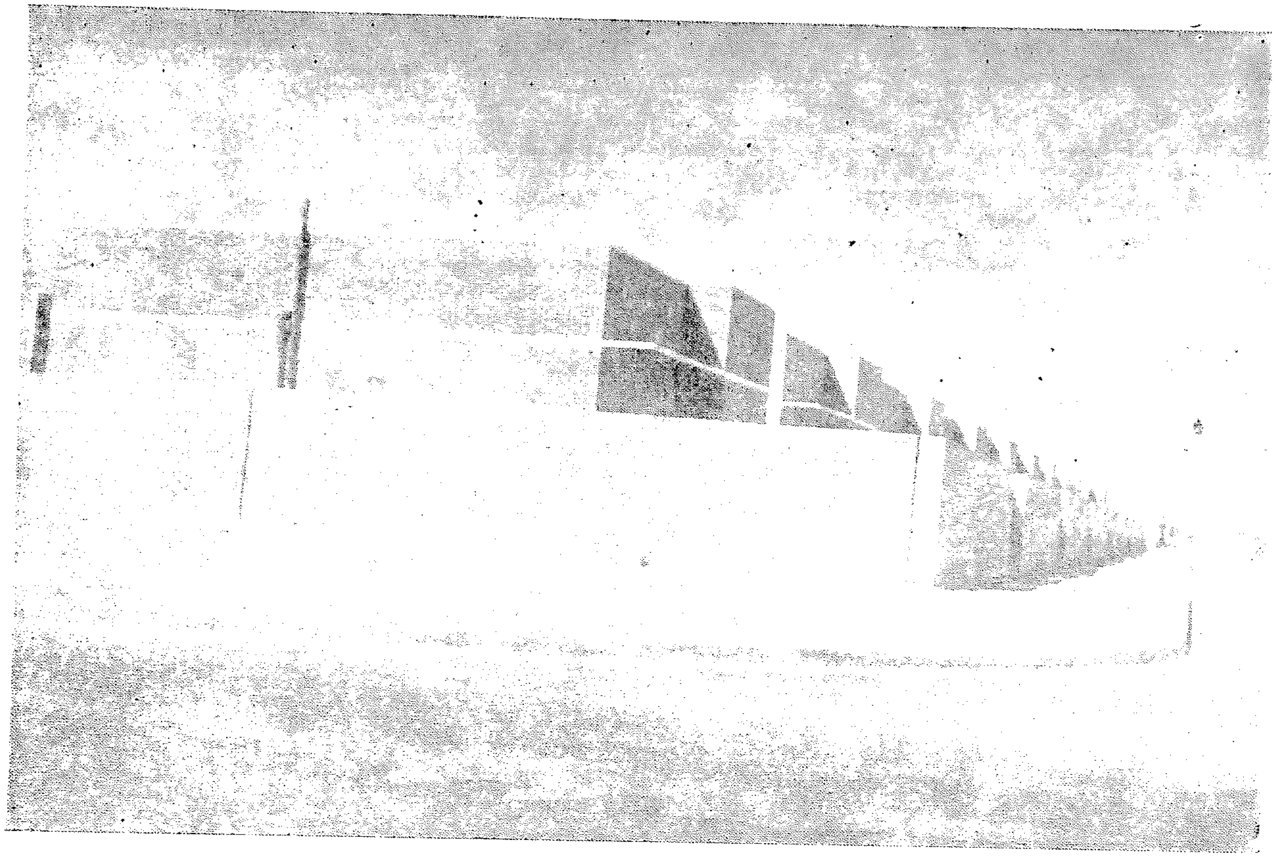

منظر آخر لبيوت ذوي الدخل المحدود

والمضحك المبكي في تمثيلية عبد الكريم قاسم هذه ، ان حكومة العراق منذ قيام الثورة تتصرف تجاه الكويت كما تتصرف اية دولة تجـاه دولة اخرى مستقلة ، وهي تعترف باستقلال الكويت وتعدها بلداً مجاوراً للعراق تقوم بينهما حدود وحواجز كأية دولتين متجاورتين مستقلتين .

واجراءات الحدود الاعتيادية التي كانت تتخذ يوميـاً تؤكد هذه الحقيقة ، بل ان جوازات السفر لم تكن لتعتبر نافذة المفعول ما لم تختم بختم خاص يمنح المسافر بموجبه سمة الدخول بين البـلدين ، وكان ذلك يطبق بدقة واصرار ولا يميّز فيه او يفرّق بين مسافر وآخر ، وكانت اجهزة الأمن نفسها تشرف على هـذا التطبيق دون اي تسامح او حتى مراعاة لحقوق الجيرة بين البلدين .

ولئن أورد هنا أمثلة كثيرة متعددة للتدليل على هـذه الحقيقة ولكني استميح القارىء الكريم عذراً ان انا اكتفيت بسرد الوقائع التي حدثت لي بالذات في المرات القليلة التي سافرت فيهـا الى العراق او مررت به في طريقي .

فقبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ كانت حكومة العراق الملكية قد منعت بعض رجالات الكويت وشبابها من دخول العراق لأسباب منها ان تلك الحكومة كانت ترى في هؤلاء الذين تمنعهم من دخول اراضيها ، خطراً على كيانها ، وقد كنت انا احد المحظور عليهم دخول العراق قبل الثورة .

وقامت الثورة ، وهللنا لها ، ورحبنا بها وارسلنا برقيات التأييد الكثيرة ، وسافرت وفود من الكويت تقدم التهاني الى شعب العراق والى الحكومة الجديدة ، واذيعت اخبار هذا الوفد من اذاعة بغداد نفسها وبعد المضاعفات التي حصلت في العراق ، والاضطرابات الدامية التي وقعت ، اردت ان ازور هذه البلاد التي تربطنا بها روابط الاخوة الصادقة فسافرت في الثاني عشر من تموز سنة ١٩٦٠ بالطريق البري .

وحين وصلنا الحدود الفاصلة بين العراق والكويت دخلنا مركز (صفوان) لتأشير جواز السفر وتفتيش الأمتعة من قبل موظفي الجمارك .

ولكني فوجئت بضابط مسؤول يقول لي :

« أنت ممنوع من دخول العراق !.. »

ورجعت بداكرتي الى الماضي القريب لعلي اجد شيئاً قد فعلته ضد حكومة الثورة في العراق يستوجب منعي من الدخول اليه ، فلم اجد اي تفسير لهذا المنع ، ولكني قلت للضابط :

« انا لا اذكر اي تبليغ بمنعي من الدخول الى العراق بعد الثورة » . فقال .

« ان المنع ما يزال قائماً منذ عهد نوري السعيد .. »

وصعقت .. وقلت وانا مشدوه :

« ولكنكم قمتم بالثورة ، واطحتم بنوري السعيد وبعهده ، فلم تبقون على آثاره ؟! »

فلم يحر جواباً ، ولكنه تمتم :

« هذه اوامر يجب ان تطاع » .

وعدت الى الكويت ، بعد ان منعتني حكومة الثورة من دخول العراق بموجب قرار من حكومة نوري السعيد التي قضت عليها الثورة . وعش تَرَه ..

ولكني اسوق هذه الحادثة للتدليل ايضاً على استقلال الكويت واعتراف العراق بهذا الاستقلال ، فلو كانت الكويت حقاً تابعة للعراق فما كنا نجابه كل تلك الصعوبات لكي ننتقل من (قائمقامية) الكويت الى (ولاية البصرة) !!

ولو كنت عراقياً كما يدعي عبد الكريم قاسم ، فلماذا لم يقبضوا عليّ ويحاكموني باعتباري احد رعاياهم ؟!

ومرة ثانية .

كنت عائداً من لبنان الى الكويت في طائرة مرت ببغداد ووقفت فيها ، ولكنهم اوقفوني في المطار ثلاث ساعات بحجة تذرع بها موظف الجوازات في المطار وهي اني لا احمل سمة الدخول الى بغداد .

وبعد جدل طويل قلت له ان سمة الدخول الغيت بين الكويت والعراق

باتفاق تمّ بين الحكومتين ، وصار يكتب على الجوازات الكويتية :

« صالح لدخول العراق بدون سمة » .

فلم يقتنع الموظف المسؤول بذلك بل احالني الى (مديرية الاقامة) التي سمحت لي بعـــد أخذ ورد دام ساعتين ، ان ابقى في بغـــداد يومين فقط !!

ومرة ثالثة .

كنت عائداً مع عائلتي من كراتشي الى الكويت بالطائرة عن طريق البصرة ، ووصلنا البصرة في الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل . وكان جواز زوجتي قد انتهت مدته قبل ساعة ونصف الساعة فقط ، أي ونحن نحلق في الجـــو فامتنع مدير الجوازات في البصرة عن السماح لزوجتي بالبقاء في البصرة ساعات معـــدودة حتى ينبلج الصبح فنغـــادر العراق الى الكويت بأول طائرة ، ولولا تدخل بعض العاملين في شركة الطيران لأصر على تسفير زوجتي في اول طائرة تقلع من مطار البصرة ، ولقد صادف ان تلك الطائرة كانت متجهة الى لندن !!

فالى أي شيء ترمز هذه الحوادث ؟

هل يفهم منها ، رغم كل ما فيها من تعنت الموظفين وسوء تصرفهم الا شيء واحد فقط هو ان هؤلاء الموظفين ينفذون اوامر الحكومة التي تشعر ان لها الحق في محافظة حدودها وحماية أمنها .

وان من حق العراق ان يراقب حدوده ومطاراته ، ومن حقـــه ان يمنـــع اي مواطن كويتي من دخول العراق . فالكويت دولة اخرى لها

حقوقها ورعاياها ، كما ان للعراق حقوقه ورعاياه ، والعراق دولة مستقلة وكذلك الكويت .

فما عدا مما بدا ؟! وكيف انقلبت الآية فجأة : دولة الكويت الحرة المستقلة ، باعتراف حكومة العراق ، (قائمقامية) تابعة لولاية البصرة منذ عهد آل عثمان الذين كان العراق في عهدهم (ولاية) تابعة للدولة العثمانية .

* * *

ثم ماذا ؟

ها نحن أولاء نصل الى آخر المطاف الى قصة الزعيم الجاهل الأوحد عبد الكريم قاسم ، ولكن ختام هذه القصة لن يكون مسكاً ، لأن حاكم بغداد ، ما يزال يصر على دعاواه المهووسة واوهامه المضحكة ، وله في كل يوم خطاب وتصريح ، يملأ بها اعمدة جرائد بغداد ويصدع آذان الناس .

ومن المستحيل ان يكون المسك ختاماً لقصة رجل مثل عبد الكريم قاسم لأن هذا ضد منطق الامور وضد طبائع الاشياء .

والمسك لم يخلق لكي يتطيب به الاشرار والمجانين ، بل هو طيب الطيبين من الناس والاخيار من الحكام ، ولم يكن عبد الكريم قاسم في يوم من الأيام طيباً ، ولا خيراً .

ومنطق التاريخ وطبيعة الاشياء يؤكدان استحالة ان تكون (الكويت)

في يوم من الايام لقمة سائغة يزدردها عبد الكريم قاسم بعد ان سال لها لعابه اكثر من مرة ، وفي اكثر من خطاب وتصريح !!

ومنطق التاريخ نفسه ، وطبيعة الاشياء ذاتها ، يؤكدان استحالة ان يرضخ شعب مهما كان ، لمشيئة حاكم مجنون وقد طوى التاريخ في اسفاره كثيراً من هذا النوع من الحكام ، فلم يعـد نيرون وكالغولا وقرقوش وهتلر الا اثاراً تقرأ وتدرس للعبرة والانعاظ ولن تكون نهاية عبدالكريم قاسم باحسن من نهايات هؤلاء .

* * *

على اننا نريد قبـل ان نطوي صفحات هذا الكتاب ان نلقي بعض الاضواء على قضية الكويت ، من وجهة نظر قومية بحتة ، وعلى أساس من المنطق القومي الذي يؤمن به كل عربي تحرّر من عقد النقص ، ومن أوهام الاساطير ، فلم تعد تؤثر فيه (بهلوانية) اللاعبين على الحبال ، ولا « مناورات » الممثلين الذين يعتلون خشبة المسرح ، ويرتدون في كل مشهد من مشاهد الرواية بوجه جديد .

واعتماداً على هذا المنطق القومي ، وجرياً على الطبع العربي الأصيل ، كان من الطبيعي ، كلما اثيرت وافتعلت أزمة الكويت ، ان تخطر على بال المواطن العربي قضية الوحدة العربية الشاملة وضرورة ان يضم جميع البلاد العربية بين المحيط والخليج نوع من نظام يجمع الشمل ويوحد الأمة ، وينسق الجهود ، بغض النظر عن الشكل الدستوري لهذا النظام الجامع .

نحن عرب . سواء أكنا في الكويت أم في الجزائر ، والوحدة هي نهاية شوطنا ومصير أمتنا ، وما من عربي في هـذه البقعة الشاسعة التي وحد ابناءها اللسان والتاريخ والدين والمصير يستطيع ان يتجاهل هـذه الحقيقة او ينكرها .

ولكن للمنطق القومي في ازمة الكويت ودعاوى عبد الكريم قاسم موقفاً آخر وسبيلا ينسجم مع هذا الموقف .

فلا بد لهذا المنطق من ان يتساءل اولاً :

- هل يصدر عبد الكريم قاسم في قضية الكويت عـن منطق عربي سليم او موقف قومي ايجابي ؟

وليس لهذا السؤال الا جواب واحد هو النفي البات ، ولكن نفي مستند الى الادلة ، ومعتمد على الوقائع والوثائق ، وهو نفي مبني على حقيقة عامة متعلقة باللواء قاسم وهي انه لم يكن في يوم ما قومياً ، ولم يصدر في أي موقف من مواقفـه داخل العراق أو خارجـه عن أي منطق قومي .

ولعل المطلعين على تطور قضية الكويت وعلى مراحل ازمتها يلاحظون ان عبد الكريم قاسم ، حين يطالب بالكويت ، يطالب بها على اساس أقليمي شعوبي بعيد كل البعد عن أي مفهوم عربي ايجابي سليم .

فالكويت في رأيه ، قائمقامية تابعة لولاية البصرة في العهد العثماني .

وهذا معناه في ما يدعو اليه عبد الكريم قاسم ، ان الكويت جزء من العراق ، لا جزء من الأمة العربية ، وهذا منطق شعوبي .

وهو يطالب بالكويت على (اساس) اخترعه وما يزال يتغنى به وهو (الوحدة العراقية الصادقة) ، وهـــذا موقف آخر لا يبتعـــد كثيراً عن الشعوبية ولكنه يمعن في (الاقليمية) الى حد فظيع .

وهو حين يستعرض التاريخ ، يهمل كل مراحل التاريخ العربي حين كان العرب اسياداً في اراضيهم وفي بلادهم ، وينتقل الى الفترة المظلمة ويستمد شهوده من قبور سلاطين بني عثمان ! . وقد كان بوسعه ان يقول ان ساحل الخليج العربي ، مثـــلا جزء لا يتجزأ من الأرض العربية ، ولـــكن الذين يعرفون عبد الـــكريم قاسم حق المعرفة ، يعرفون ايضاً استحالة ان يفكر هذا الرجل تفكيراً عربياً ، ولعلهم يشيرون بذلك الى اصله غير العربي ، فان العراقيين يتهامسون احيانـــاً بقصص غريبة عن المغول الذين جاءوا العراق مع هولاكو وجنكيزخان ، واستقر قسمٌ منهم في شرقي العراق وعاشوا هناك وذراريهم بعد ان انحسر ظل التتر عن البلاد .

ولسنا نريد ان نطيل في هذا الصدد ، اذ لم نكن في يوم من الايام من المؤمنين بالعنصرية والعرقية ولن تكون القومية العربية في رأينا مبنيّة على نقاوة الدم العربي ، ولكننا لا نجد هنا بدأً من الاشارة الى هـــذا العامل الذي قد يكون له تأثيره العظيم في شخصية رجل مثل قاسم حاقد مقطوع الجذور عن واقع أمة العرب .

* * *

ومنطق الوحدة العربية شيء ، ومطالبة قاسم بالكويت شيء آخر .

فان من البديهيات التي لا يكاد إنسان عربي مثقف يجهلهـا ، ان الوحدة هذه عمل شعبي ، وانها لن تكون وحدة صحيحة صادقه الا اذا تمت بارادة شعبية .

وعلى الرغم من ان عبد الكريم قاسم لا يصـدر في قضية الكويت عن منطق وحـدوي ، فان للقارىء الكريم الحق في ان يسأل ، هل يستجيب قاسم في قضية الكويت ، وبهذا الاسلوب الذي عرضت فيه . وبهـذا الزي الذي ألبسها إياه ، الى إرادة شعب الكويت ، بله إرادة شعب العراق ؟!

اللهم لا .

ومن بديهيات الوحدة ان تكون وحدة لا ضماً ولا سلباً ولا اغتصاباً ، فأين من كل هذا دعاوى قاسم ، ودجل أبواقه ؟.

الا يدعو موقف قاسم هذا الى تأكيد الرأي القائل بأن هذه الأزمة المفتعلة أساءت الى قضية الوحدة العربية بصورة عامـة ، واستطاعت ان تجعل الانسان العربي العادي يسأل نفسه مئة مرة في اليوم ، لمـاذا فعل عبد الكريم قاسم هذا ؟ ومن الذي أوحى له بهذه الفكرة ؟ وهل تراه يهدف من ورائه الى إيهام الناس ان العرب حين يدعون الى الوحدة ، فانهم في الواقع يدعون الى انتهاب خيرات البلد الغني ، واغتصابهـا والاستئثار بها على حساب الوحدة ؟.

* * *

واذا كان عبد الكريم قاسم مخلصاً هذا الاخلاص (للوحدة العراقية

المصادقة !!) وهو يطالب بالكويت على هذا الأساس ، فلمـــاذا يفرّط هو نفسه بهذه الوحدة العراقية ، ويفسح المجال للاكراد ان يتمردوا في شمال العراق ، ويشعلوا نار الفتنة والعصيـــان ، وهو يشاغل الناس عن حقيقة تواطئـــه مع (البارزاني) او سكوته عنه ، على الأقل ، باثارة هذه الزوبعة في فنجانه ، واطـــلاق الدخان الكثيف متذرعاً بقضية الكويت ؟!.

* * *

وفي العراق ، على ألسنة ابناء الشعب ، اسئلة حيوية متعددة تحتـــاج الى أجوبة شافية ، وهي اسئلة خطيرة تتناول مختلف قطاعات الحيـــاة العراقية في الاقتصاد والسياسة والاجتماع ، ولكن عبد الكريم قاسم يضرب صفحاً عن كل هذه الاسئلة ويشغل نفسه والشعب العراقي ، بأزمة مفتعلة قد يحار المعنيون بشؤون السياسة في تحليل دوافعها واتجاهاتها ، ولكنهم يتفقون جميعاً في أمر واحد جوهري ، هو ان عهد عبد الكريم قاسم في العراق ، ليس الا استمراراً للفساد السياسي الذي كان ينخر في دولة العراق قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، حتى لكأن الأمر يبدو وكأن كل شيء لم يتبـــدل ، الا الوجوه والا الشعارات ، واذا كان نوري السعيد قد ذهب ، فلقـــد حل محلّه تلميذه ، وموضع ثقته الزعيم الركن عبد الكريم قاسم !.

* * *

وبعد ..

فان كلاماً كثيراً يمكن ان يقال ، عن عبد الكريم قاسم وعن العراق ، ولكن كتابنا هـذا كتاب خاص بقضية الكويت ، ونحن لم نتطرق الى الأمور الأخرى ، الا لعلاقتها بالقضية ، ولارتباطها بها .

غير ان شيئاً واحداً ، نستطيع ان نقوله .. بكل ثقـة واطمئنان ، ويقوله معنا كل عربي مؤمن بحق امته في الحرية والكرامة .

ان كثيرين صعـدوا الى مسرح التاريخ ، عبر الدهور والقرون ، وكثيرين مثلوا على هذا المسرح ادوار الابطـال ، او ادوار المهرجين ، ولكنهم جميعاً ذهبوا ، ولم يبق الا وجه ربك والا الشعوب .

ولن يستطيع فرد مهما عتا ، واستكبر ، ان يزيف التاريخ ، ولا ان يرجع عجلته الى الوراء .

والطغاة هم الزبد ، واما ما ينفع الناس فهو ايمـان الشعوب ، وتضحياتها ، وأصالتها .

واما الزبد فيذهب جفـاء ، واما مـا ينفع الناس فيمكث في الأرض .

صدق الله العظيم .

خاتمة المطاف

وها نحن مرة أخرى ، نعود الى موضوع هذا الكتاب فنحمل خطوطه العريضة ونضع النقاط على الحروف موضحين بعض ما غمض ، وكاشفين بعض الأستار عن بعض ما خفي ، وعائدين بالقارىء الى الوراء خطوة خطوة لنستعرض مراحل الأزمة وجذورها التاريخية في واقع العراق الراهن وفي أحلام عبد الكريم قاسم ، ليكون هذا الفصل الأخير خلاصة وافية بما شرحناه مفصلاً في ثنايا الكتاب ، ولنبرز فيه النقاط الحسّاسة المهمة في الموضوع لكي يكون القارىء الكريم على علم بها ، ولكي يضع يده على موطن الداء ، من جسم الرجل المريض الذي يحكم بغـداد ، بالحديد والنار .

* * *

..في اول الأمر ان نؤكد هنا ان الكويت استطاعت الحفاظ على شخصيتها وحدودها منذ قرنين من الزمان ، وان حكامهـا لم يألو جهداً في السير بها الى الامام في مضامير التقدم والمدنية . فاستطاعت الكويت في هذين القرنين من الزمن ، وهي فترة قصيرة جـداً في حساب التاريخ ، ان تتقدم خطوات واسعة الى الأمام ، وان تصبح بلاداً عامرة منتجة غنية ، بعد ان كانت رمالاً جرداء ، ليس فيها الا مواطن الصيد ومرابع القنص !.

٢ ـ واستطاعت الكويت ، ولا سيما بعد معاهـدة الاستقلال الأخيرة ، ان تسهم في بناء الوطن العربي ، وفي تمويل مشاريع الانماء والاعمار في اكثر اقطار العروبة ، وكان آخر ما قدمته في هذا المجال قرضها الأخير لحكومة الجزائر لكي تساعدها على بنـاء الجزائر الجديدة ، وهو قرض بلا شروط ، ولا منّة ، ولكنه قسط من واجب ينبغي على كل عربي ان يؤديـه ، وعلى كل حكومة عربيـة ان تساهم فيه .

٣ ـ ولكن يبدو ان هناك من لا يعجبـه ان تكون ضمن الوجود العربي دولة قوية غنية كالكويت ، تبني مجتمعها ، وتعمر أرضها ، وتسعى جهدها لمساعدة شقيقاتها الدول العربيـة الأخرى ، فأثار في فنجان صغير ، زوبعة تشبه عجاجات بغداد الحمراء ، واقام الدنيا واقعدها في ازمة مفتعلة ، لا أول لها ولا آخر ، ولا سند لهـا من الحقيقة ولا برهان ، الا ما يتراءى في احلام الرجل الذي يحكم بغداد من مقره في وزارة الدفاع !.

٤ ـ ومن طبيعة الأشياء ان تسكن وتقرَّ بعد الحركة والهيجان ، غير ان طبيعة عبد الكريم قاسم ، طبيعة من نوع ثان ، لا تستقر ولا تهدأ الا بعد الحشرجة والنزع الأخير ، ولهذا دأب عبد الكريم قاسم وبطانته ، على تقديم اغنيتهم (النشاز) وازعاج العرب في كل مكان ، باللحن الغريب المعجوج .

٥ ـ ولقد تخيّل عبد الكريم قاسم ، وتوهّم انه خطيب مصقع لا يشق له غبار ، فهو أفصح من سحبان وائل ، واقوى عارضة من الامام علي رضي الله عنه ، وأسطع برهاناً من الجاحظ ، وأسرع بديهة من ابن المقفع !!. وسبحان الذي يجمع العالم في واحد !!. ولله في خلقه شؤون .

غير ان على العرب ضريبة ان يسمعوا عبد الكريم قاسم وخطبه (البتراء) وتصريحاته (العنترية) ، وليس لهم إلا ان يترحموا على شيخ المعرة الذي قال :

اذا وصف الطائي بالبخل مادرٌ   وعيّر قساً بالفهاهة باقلُ
وقال السهى للشمس انت كليلة   وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الأرض السماء سفاهة   وعيّرت الشهبَ الحصى والجنادل
فيا موت زر ان الحياة ذميمة
ويا نفس جدّي ان دهرك هازلُ !!

والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه !!

* * *

٦ ـ وعبد الكريم قاسم شخصية غريبة ، لن يستطيع اي كاتب أن يفيها حقها من الدراسة والتحليل الا اذا استعان بما كتبه علماء النفس والامراض العقلية .

ويخيل اليّ ان هذا هو سرّ الغموض الذي يتوهمه فيه الناس فهو ليس غامضاً ، ولكنه مريض ، وهو ليس عبقرياً ولكنه مجنون ، واذا كان بين العبقرية والجنون شعرة واحدة ، فان بين عبقرية قاسم المزعومة وجنونه الثابت ، شعرات ، وحبالاً حمراً تمتد من شمال العراق الى جنوبه !.

٧ ـ والكويت ، حلمٌ جال في نفس عبد الكريم قاسم ، غير ان تحقيقه ، ممكن ومحتمل الحدوث ، ان كانت احلام المجانين تتحقق ، وان كانت اوهام الممسوسين تتجسّد في عالم الحقيقة والواقع ، وفي القرن العشرين ، عصر الذرة واكتشاف الفضاء !.

٨ ـ ومن يسمع تصريحات قاسم ، وما تبثه اذاعة بغداد ، وما تنشره صحافة العراق الناطقة باسم قاسم ، يظن ان استحواذ قاسم على (قضائه السليب) غدا أمراً مفروغاً منه ، ولكن الذين يعرفون الكويت ، ويعرفون قاسم ، يعرفون ايضاً ان هذه الازمة المفتعلة لن تكون ابداً اكثر من زوبعة في فنجان ، ولسوف يموت قاسم ، وفي نفسه شيء من (قضائه السليب) !!.

٩ ـ وهكذا انتهت هذه الازمة المفتعلة واستقل الكويت وتتابع اعتراف الدول دبلوماسياً بالدولة الجديدة ، وخابت كل مساعي عبد الكريم قاسم في عرقلة هذا الاعتراف ، بالاغراء تارة ، وبالتهديد اخرى ،

ولكنه لم يفطن الى النهاية الفظيعة التي وصل اليها ، فقد عزل بلاده عن العـــالم ، واذا ما استمر في سحب سفرائه من كل بلد تعترف حكومته بالكويت ، فسوف يأتي يوم لن يجد له فيه سفيراً في أية عاصمة من عواصم العالم ، ولسوف يندم حينذاك غير ان الندم لا ينفع الحمقى ، ولا يجديهم فتيلاً !

١٠ ـ غير ان بعض المطلعين يفسرون سحب قاسم سفراءه تفسيراً آخر ليست قضية الكويت فيه ، الا حجة ووسيلة ، فانهم يتهامسون بأن خزينة العراق اصبحت عاجزة عن تمويل سفاراتها في الخارج ومدّها بالنفقات الضرورية التي يتطلبها العمل الدبلوماسي ، فلجأ قاسم الى هذه الذريعة ، وسحب سفراءه بحجـــة اعتراف الدول المضيفـــة بالكويت ، تحاشيـــاً للنفقات التي لم تعد خزانتـــه تستطيع ان تسدّدها !.

ترى ، اين ذهبت ثروة العراق وموارد نفطه ؟!

١١ ـ وفي اسلوبه الاخير هذا ، مفارقة اخرى ، مضحكة مبكية .

فان سيادة الزعيم الاوحد ، لم يسحب سفراءه من عواصم الدول المعترفة باسرائيل ، التي اغتصبت فلسطين ، وشرّدت اهلهـــا ، بل ان ذلك لم يمنعه من عقد المعاهدات والاتفاقيات معهم .

وهكذا يجتمع الصيف والشتاء في زمان واحـــد ، ويصافح عبد الكريم قاسم اليد التي تمد اسرائيل بأسباب البقاء ، ويسحب سفيره من نفس الدولة ، لانها اعترفت باستقلال الكويت !.

١٢ ـ والذين يظنون ان عبد الكريم قاسم رجل ذكي ، مخطئون في ظنهم كل الخطأ ، فليس حاكماً ذكيــاً ، من يعيش في القرن العشرين وينهج على اساليب القرن التاسع عشر .. ويترسّم خطى شخصيات ذلك العصر ، الذين لم يستطيعوا ، بالرغم من ذكائهم ودهائهم ، تحقيق احلامهم العريضة !.

ومن الظلم حقاً ، ان يشبه عبد الكريم قاسم ، برجل مثــل نابوليون ! ولكن ميزان عبد الكريم قاسم ، تستوي فيه المتناقضات ولا تستقيم فيه الا المفارقات !

١٣ ـ ومن هذه المفارقات ، تلك التشكيلة العجيبــة التي تجمع بين عبد الكريم قاسم وحاشيتــه ومريديه وحارقي البخور له ، اما هو ، فممسوس شاذ ، ومقامر قديم !! واما حاشيته ، فهم بين جبــان رعديد ، او انتهازي عريق ، او منافق ذي مصلحة .

وتأتي بعد ذلك طبقة من المرتزقة فيها بعض اصحاب الصحف ومحرروها ، وفيهم من كان سجيناً لجريمــة اقترفهــا او فضيحة اخلاقية ارتكبها ، حتى اذا شعت انوار عبد الكريم قاسم ، اطلق هذه (النماذج) من السجن ، ومنحها امتيازات باصــدار الصحف التي تحرق له البخور ، وتسبح بحمده صباح مساء .

ولكن شعب العراق ، يعرف قاسم جيــداً ، ويعرف الحاشية والمرتزقة واحداً واحداً ، وله مع كل منهم حساب عسير !؟

* * *

١٤ ـ ومن تحصيل الحاصل ان موقف حكومـة عبد الكريم قاسم من الكويت لا ينسجم مع اي منطق قومي سليم ، بل هو أقرب مـا يكون الى المنطق الشعوبي الذي يفزعـه مجرد ذكر العروبة والتغني باسمها .

ولهذا ، فليست بنا من حاجـة الى القول مرة اخرى ، بأن دعوى (ضم) الكويت ، انما هي دعوى زائفة لا تتفق مع أي مفهوم قومي سليم ، لان هذا المفهوم القول السليم انمـا يبنى على فكرة الوحدة التي تحققها ارادة شعبيـة ، وفي ظروف ديمقراطية متكافئة .

ولكن عبد الكريم قاسم ، لا يؤمن بهذه المفاهيم ، وهو بالتالي لا يصدر في موقفه تجاه الكويت الا عن مصدرين .

أولهما : منطق شعوبي حاقد على العرب والعروبة .

وثانيهما : طمع بثروة الكويت وخيراته ، لا لكي يستفيد منهـا شعب العراق ، ولكن لكي يبذّرها على حاشيته ومرتزقته ، وينصب بها تماثيله في ساحات بغداد !! وعلى جدران وزارة الدفاع .

١٥ ـ ولقد قيل الكثير عن قاسم ، وعن الجهات الاجنبية التي تسنده ، والعـارفون ببواطن الأمور في العراق ، يشيرون الى علاقات وملابسات واحداث ومواقف معينة ، يربطون بينها وبين عبد الكريم قاسم والنبع الذي يستقي منه .

غير ان الشيء الثابت ، ان عبد الكريم قاسم ، مستعد ان يمد

يـــده الى أي كان ، حتى الشيطـــان ، في سبيل ان يبقى في كرسيه .

وتلك هي عقدته ، وسوف تكون خاتمة مطافه ايضاً ، فالحرص على الكرسي ، أعظم خطر يهدد الطغـــاة ، ولن تكون نهاية عبد الكريم قاسم بأحسن من نهـــايات أمثاله الذين امتلأت صفحات التاريخ ، بأحداثهم ووقائعهم ، حتى اذا ذهبوا ، ذهبت احداثهم ووقائعهم ولم يبق لهم من أثر .

وتلك هي حكمة التاريخ ، المليء بالعظات والعبر !.

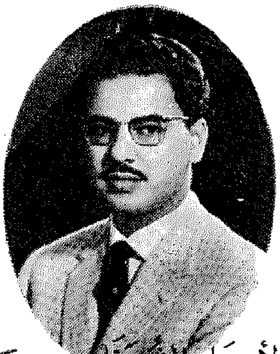

المؤلف

الكويتُ وطني ، ووطنُ الأحرارِ الشرفاء ، وكل حفنةٍ من رماله وكلُّ شبرٍ من شطآنه مرويٌّ بأنهارٍ من الدماء والدموع . وهو بحدوده المعترفُ بها كيانٌ ضروريٌّ لاستمرارِ حياةِ كلِّ كويتي . فهو لا يراه ويحبه ويفتديه وحسْب ، بلْ يعيشُه أيضاً . ولئنْ كانَ من السَّهْل على خيال الزَّعيم قاسم أن يتوهَّمَ الكويت شريحة منْ (أملاكه) أو قطعةً من البلدِ الذي نُكب بسلطانه ، فأمر عسير تحقيق هذا التوهُّم وإحالته حقيقةً واقعة . . . إن الكويتَ لنا نحنُ الكويتيّين واقع تاريخ وحياة مصير . فليسَ لحياتنا معنىً دونها ، وليسَ لوجودنا أثر إذا خُدِش استقلالها أو نيل من شخصيتها .

من مُقدمة المؤلف

Bibliotheca Alexandrina
03394532